ماذا بعد رمضان؟!

جَمْعُ وَتَرْتِيبُ

هاني سعد غنيم

تَقْدِيمُ

فَضِيلَةِ الأُسْتَاذِ الدُّكْتُور/ فَتْحِي جُمُعَة

الأُسْتَاذِ بِكُلِّيَّةِ دَارِ العُلُومِ وَالخَبِيرِ بِمَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

مُرَاجَعَة عِلْمِيَّة

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ/ مَجْدِي قَاسِم

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ (مزيدةٌ ومُنقَّحَةٌ)

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى. ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد ٢٢-٢٤]

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رَقْمُ الإِيدَاعِ بِدَارِ الكُتُبِ القَوْمِيَّةِ ٤٥٣٠ =٢٠٠٥م

الرَّقْمُ الدُّوَلِي I.S.B.N

977- 17 -2072 -4

بِتَارِيخِ ٢٠ – ٢- ٢٠٠٥م

الإهداء

إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَقْبَلَ بِحُبٍّ وَطَاعَةٍ عَلَى فِعْلِ الخَيْرَاتِ فِي رَمَضَانَ وَجَاهَدَ نَفْسَهُ، وَاسْتَكْمَلَ فَضَائِلَهَا:

يا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى لِخِدْمَتِهِ! ... أتطْلُبُ الرِّبحَ فِيمَا فيه خُسْرَانُ؟

أقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضائلَهَا ... فَأنتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إنْسانُ

أَقُولُ لَهُ نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ: اثْبُتْ عَلَى الإِيمَانِ وَمَكَاسِبِ رَمَضَانَ بَعْدَ رَمَضَانَ تَفُزْ بِثَوَابٍ عَظِيمٍ مِنْ رَبٍّ كَرِيمٍ؛ فَالثَّبَاتُ عَلَى الحَقِّ صَعْبٌ عَسِرٌ؛ حَتَّى تُبْعَثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ التِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ [1]: «لا تَزالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». حَتَّى لاَ تَدْخُلَ إِلَى رَمَضَانَ

---

(١) (صحيح): مسلم ١٩٢٠، أبو داود ٤٢٥٢، الترمذي ٢٢٢٩.

وَتَخْرُجَ مِنْهُ كَمَا دَخَلتَهُ، تَـدْخُل رَمَضَـانَ وَكَاهِلُـكَ مُثْقَـلٌ بالذُّنوبِ، وَتَخرجُ مِنْهُ وَأنْتَ العَبْـدُ التَّقِـيُّ؛ وَقَـدْ غَفَـرَ اللهُ ذَنبَـكَ، وَوَضَـعَ عَنْـكَ وِزْرَكَ، فَمَـنْ مِنَّـا يُقَـدِّمُ الخَـيْرَ، وَيُقرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ؟! حَتَّى يَخْـرُجَ مِـنْ دُنْيَاهُ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ؛ فَيَلْقَى اللهَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى وَهُـوَ عَنْـهُ رَاضٍ إنْ شَاءَ اللهُ، وَإِنَّنِي أهْدِي إِلَيْكَ رَسَالَتِي هَذِهِ؛ لأَنَّني أُحِبُّكَ فِي اللهِ؛ لعَلَّهَا تَكُونُ إِحْدَى السُّـبُلِ الهَادِيَـةِ لَـكَ إِلَى طَرِيقِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَمَا أَجْمَلَ هَذَا الطَّرِيقَ! وَمَا أَفْضَلَ مَـنْ يَسْلُكُهُ!! وَمَا أَعْظَمَ نِهَايَتَهُ!!

مُقَدِّمَةُ الأُسْتَاذِ الدُّكْتُور: فَتْحِي جُمْعَة..حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَإِمَامِ المُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ..

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ طَيِّبَةٌ فِي (مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟)..كَتَبَهَا ابْنُنَا المجْتَهِدُ الأُسْتَاذُ/ هَانِي غُنيم، نَسْأَلُ اللهَ-تَعَالَى-أَنْ يُثِيبَهُ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَيَتَقَبَّلَ مِنْهُ..آمِين.

وَقَدْ وُفِّقَ فِي اسْتِقْصَاءِ عَدَدٍ مِنَ المَسَائِلِ، وَمِنْ جَمِيلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنَّ كَاتِبَهَا -جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ- ضَمَّنَهَا لَفْتَةً طَيِّبَةً إِلَى ضَرُورَةِ اسْتِصْحَابِ أَثَرِ رَمَضَانَ وَرُوحِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِهِ وَذهَابِ لَيَالِيهِ، وَذَلِكَ مَا كَتَبَهُ تَحْتَ عُنْوَانِهِ المُوَفَّقِ (مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟)..

وَصَفْوَةُ القَوْلِ أَنَّهَا رِسَالَةٌ نَافِعَةٌ مُفِيدَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ...

بَارَكَ اللهُ فِي كَاتِبِهَا؛ وَهَدَاهُ وَسَدَّدَ خُطَاهُ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ وَعَلَّمَهُ وَنَفَعَ بِهِ، وَجَزَاهُ اللهُ جَزَاءَ الصَّادِقِينَ، آمِين..

وَكَتَبَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ

(فَتْحِي بنُ مُحَمَّدٍ جُمُعَة)

الخميس / الثاني مِنْ شَعْبَان ١٤٢٥هـ

الموافق / السَّادِس عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبر ٢٠٠٤م

مقدمة

الحَمْـدُ لله رَبِّ العَـالَمِينَ، وَالصَّـلاةُ وَالسَّـلامُ عَـلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً للعَالَمِينَ..بَعْـد صُـدُورِ أَوَّلِ كِتَـابٍ لِي عَـنْ رَمَضَـانَ المُبَـارَكِ وَكَـانَ بِعُنْـوَانِ: (رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل) وَبَيَّنْـتُ فِيـهِ-بِفَضْـلِ اللهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ-فَضَائِلَ وَفَوَائِدَ وَبَشَائِرَ هَذَا الشَّهْرِ الكَرِيمِ وَالضَّيْفِ العَزِيزِ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَرأَيْـتُ-لِزَامًا عَـلَيَّ-أَنْ أُصْدِرَ كُتَيِّبًا آخَرَ-إِنْ شَـاءَ اللهُ-وَهُـوَ (مَاذَا بَعْدَ رَمَضَان)؛ لِيَكُونَ خِتَامَ المِسْكِ وَلِتَكْتَمِلَ الفَائِدَةُ المَرْجُوَّةُ مِنْهُ، فَجِهَـادُ النَّفْسِ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ، وَالوُصُولِ بِهَا إِلَى القِمَّـةِ صَـعْبٌ عَسِيرٌ،وَلَكِـنَّ الأَصْـعَبَ مِنْـهُ هُـوَ الحِفَـاظُ عَلَيْهَـا وَعَـلَى مَكَاسِبِ هَذَا الشَّهْرِ الكَرِيمِ، وَإِنَّنِي لأَتَسَاءَلُ كَثِـيرًا: لِمَاذَا

تَبْتَعِدُ عَنْ مَوْلاَكَ الكَرِيمِ بَعْدَ رَمَضَانَ؟! وَمَا الَّذِي جَعَلَكَ تُدْبِرُ عَنْهُ؟ وَمَا الَّذِي غَرَّكَ بِهِ؟! فَعُقُوقُ الكَرِيمِ لُؤْمٌ، أَتَحْسَبُ أَنَّ اللهَ يَغْفُلُ عَنْكَ فَلاَ يَرَاكَ؟! أَوْ لاَ يُحْصِي عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ؟! أَغَفَلْتَ عَنْ أَنَّ اللهَ قَيُّومٌ؟! فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَاللهُ يَرَى كُلَّ نَفْسٍ، وَيَعْلَمُ مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد٣٣] لاَ لاَ..انْتَبِهْ؛ فَاللهُ يَقْبَلُ مِنْكَ عَمَلَكَ فِي رَمَضَانَ أَوْ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ أَوْ فِي أَيِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ العَامِ، وَيُوشِكُ اللهُ أَنْ يَأْخُذَ مَنْ حَلُمَ عَلَيْهِ كَثِيرًا فَلَمْ يَرْجِعْ، وَأَمْهَلَهُ كَثِيرًا فَلَمْ يَعُدْ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُ بَعْدَ هَذَا الحِلْمِ وَالإِمْهَالِ مِنَ المَلِكِ المتعَالِ؟! فَيَا أَيُّهَا العَاصِي الغَافِلُ المدْبِرُ: أَنْتَ لاَ تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ

شَيْئًا إِذَا انْحَرَفْتَ عَنْ طَرِيقِهِ المسْتَقِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّ تَرْكَ الذَّنْبِ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ بَعْدَ العِصْيَانِ. فَيَا تُرَى مَنْ مِنَّا سَيُعَطِّرُ لِسَانَهُ بِذِكْرِ مَوْلاهُ وَيُجَدِّدُ إِيمَانَهُ غَيْرَ غَافِلٍ؟ وَمَنْ مِنَّا سَيُحَافِظُ عَلَى تِلاوَةِ القُرْآنِ؛ كَمَا كَانَ يَتْلُوهُ فِي رَمَضَانَ؟ وَمَنْ مِنَّا سَيَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله أَمْ أَنَّ المَسَاجِدَ سَتَشْتَكِي إِلَى الله ظُلْمَ العِبَادِ لَهَا؟ وَمَنْ مِنَ النِّسَاءِ سَتُحَافِظُ عَلَى ارْتِدَاءِ الحِجَابِ حَتَّى المَمَاتِ؟ لا أَنْ تَلْبَسَهُ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ تَخْلَعُهُ لَيْلَةَ العِيدِ (لَيْلَةَ انْقِضَاءِ رَمَضَانَ).. وَمَنْ مِنَّا سَيُحْسِنُ إِلَى الثَّكَالَى المَحْرُومِينَ وَالأَيْتَامِ المُشَرَّدِينَ وَالمَسَاكِينِ الخَائِفِينَ كَمَا كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فِي رَمَضَانَ؟! وَمَنْ مِنَّا سَيَصُومُ النَّوَافِلَ؟ فَهَذَا هُوَ الصَّوْمُ الأَطْوَلُ -عَلَى مَدَارِ العَامِ- وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالأَفْضَلِ؛

فَصِيَامُ الفَرِيضَةِ لا يَعْدِلُهُ صَوْمٌ آخَرُ؛ لأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ مِن فَضَائِلِ الأَعْمَالِ وَأَحْسَنِهَا..فَهَذِهِ الأَعْمَالُ-مُجْتَمِعَةً-يُوزَنُ بِهَا الإِنْسَانُ يَوْمَ القِيَامَةِ ...فَالأَمْرُ فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيمِ لَيْس بِضَخَامَةِ الأَجْسَامِ؛ فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ لَكَانَ الفِيلُ أَفْضَلَ مِنَ الإِنْسَانِ مَنْزِلَةً!! وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ بِكَثْرَةِ المَال لَكَانَ قَارُونُ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَعْظَمَهُمْ حَظًّا!! وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ بِعَظَمَةِ السُّلْطَانِ لَكَانَ فِرْعَوْنُ-وَالَّذِي اسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ-أَفْضَلَ النَّاسِ مَكَانَةً يَوْمَ القِيَامَةِ! لا ..لا وَالله، إِنَّمَا الأَمْرُ-يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ-لا يُوزَنُ بِهَذَا وَلا ذَاكَ؛ إِنَّمَا الأَمْرُ يُوزَنُ-وَالحَمْدُ لله-بِتَقْوَى الله رَبِّ الأَنَامِ وَصَالِحِ الأَعْمَالِ وَالسَّيْرِ عَلَى سُنَّةِ خَيْرِ الأَنَامِ ﷺ..فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي شَأْنِ سَاقَي ابنِ مَسْعُودٍ

ﷺوَهُوَ نَحِيفُهُمَا؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ مِنْ ضَخَامَةِ الأَجْسَامِ أَوْ عَظَمَةِ السُّلْطَانِ(١): «إِنَّ سَاقَيِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ» فَأَيُّ فَضْلٍ هَذَا الَّذِي بَشَّرَ بِهِ المَعْصُومُ ﷺ ابنَ مَسْعُودٍ ﷺ!! وَفِي نَفْسِ المَعْنَى قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي شَأْنِ الرَّجُلِ العَظِيمِ الجِسْمِ البَدِينِ(٢): «إِنَّهُ ليأتي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَالَ ﷺ اقْرَءُوا مَا شِئْتُمْ: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[الكهف:١٠٥] فَاللهُمَّ بَارِكْ فِي أَعْمَالِنَا وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِنَا وَثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، فَهَلاَّ الْتَزَمْتَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- بَعْدَ رَمَضَان

(١) (صحيح): أحمد ٩٢٢، السلسلة الصحيحة ٦/ ٥٧٠

(٢) (صحيح): البخاري ٤٧٢٩، مسلم ٢٧٨٥

كَمَا كُنْتَ فِي رَمَضَانَ؟! لَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيكَ وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى تَقْوَى وَسُنَّةٍ ..حِينَئِذٍ يُقَالُ لَكَ: هَنِيئًا لَكَ..عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً..ولله دَرُّ القَائِلُ:

وَمَا هَذِهِ الأَيَّامُ إِلاَّ مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

فَإِنَّكَ لا تَدْرِي بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ تَمُوتُ وَلاَ مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ

وَإِلَى مَادَّةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، أَدْعُو اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا مِنِّي بِقَبُولٍ حَسَنٍ..

هانِي سَعْد غُنَيم
هَاتِف رَقْم / ٠٥٠ /٢٧٨٦٣٩٧
مَحْمُول رَقْم/ ٠١٢١٤٧٥٩٧٣
جُمْهُورِيَّة مِصْرَ العَرَبِيَّة-الدَّقَهْلِيَّة-بلقاس- شَارِع سَاحِل طعيمَة

تَمَّ الانْتِهَاءُ مِنْهُ- بِحَمْدِ الله تَعَالَى- فِي يَوْمِ الأَحَد / الثَّامِن مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٤هـ
المُوَافِق / الثَّانِي مِنْ نُوفَمْبِر ٢٠٠٣م

مِنْ عَلامَاتِ قَبُولِ رَمَضَانَ

مِنْ عَلامَاتِ قَبُولِ رَمَضَانَ - بإيجَازٍ شَدِيدٍ- أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ وَأَنتَ فِي مَعِيَّةِ الرَّحْمَنِ، فَتِلْكَ ثَمَرَةُ الصِّيَامِ، أَلاَ وَهِيَ تَقْوَى الله، وَكَذَا إِصْلاَحُ النَّفْسِ وَصَبْرُهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهَا، أَمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ رَمَضَانَ، لَمْ تَتَأَثَّرْ بِأَعْظَمِ أَيَّامٍ؛ فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ، أَنْ تَخْرُجَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَنْتَ صَدِيقٌ حَمِيمٌ لِلشَّيْطَانِ!! حِينَئِذٍ أَقُولُ لَكَ بِكُلِّ حَسْرَةٍ: فَالمصِيبَةُ أَعْظَمُ؛ فَلاَ تَكُنْ مِثْلَ هَذِهِ المرْأَةِ الحَمْقَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَغْزِلُ طُولَ يَوْمِهَا ثُمَّ تَنْقُضُ مَا غَزَلَتْهُ؛ فَيَضِيعُ مَجْهُودُهَا هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ اللهُ نَاهِيًا إِيَّانَا أَنْ نَكُونَ مِثْلَهَا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل٩٢] وَمَا فَعَلْتَهُ – أَخِي الحَبِيبَ– فِي رَمَضَانَ مِنْ فَضَائِلَ جُزْءٌ يَسِيرٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ، أَهِيبُ بِكَ

وَبِنَفْسِي أَنْ نَثْبُتَ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَدْرَ الاسْتِطَاعَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن ١٦] فَاهْجُرِ المعَاصِيَ إِلَى الطَّاعَةِ؛ ثُمَّ اصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ الله وَجَاهِدْ نَفْسَكَ، فَالطَّاعَةَ.. الطَّاعَةَ -أَيُّهَا الحبيبُ- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل ١١٠] فَاللهُ مِنْ بَعْدِهَا يَغْفِرُ ذَنْبَكَ وَيَرْحَمُكَ، وَيَتَقَبَّلُ مِنْكَ؛ فَمَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ تَتْبَعُهَا الطَّاعَةَ! وَسَتَجِدُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي قَلْبِكَ اطْمِئْنَانًا، وَفِي صَدْرِكَ انْشِرَاحًا، وَفِي جِسْمِكَ رَاحَةً لاَ يَشْعُرُ بِهَا إِلاَّ المتَّقُونَ المخْبِتُونَ المنِيبُونَ، فَتِلْكُمْ عَلاَمَةٌ عَظِيمَةٌ؛ يَطْمَئِنُّ لَهَا صَاحِبُ النَّفْسِ الأَوَّابَةُ، حَيْثُ يَخْرُجُ مِنَ رَمَضَانَ مُحِبًّا لِلطَّاعَاتِ؛ كَارِهًا لارْتِكَابِ

المَعَاصِي وَالسَّيئَاتِ، مُقْبِلاً عَلَى رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؛ فَكَمْ مِنْ عَاصٍ هَدَاهُ اللهُ فِي رَمَضَانَ! فَادْعُ اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكَ صَوْمَكَ وَقِيَامَكَ وَصَدَقَاتِكَ؛ لِتَلْحَقَ بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ فَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ مَوْلاَهُمْ أَنْ يَتَقَبَّلَهُمْ؛ وَأَنْ يَتَقَبَّلَ طَاعَاتِهِمْ فِي الشُّهُورِ السِّتَّةِ الأُولَى التَّالِيَةِ لِرَمَضَانَ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فِي السِّتةِ الأُخْرَى أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ المقبِلَ!.

أيُّ شَهرٍ قَدْ تَوَلَّى ... يَا عِبَادَ اللهِ عَنَّا

حُقَّ أَنْ نَبْكِي عَلَيْهِ ... بِدَمَاءٍ لَوْ عَقَلْنَا

كَيْفَ لا نَبْكِي لِشَهْرٍ ... مَرَّ بِالغَفْلَةِ مِنَّا

ثُمَّ لا نَعْلَمُ أَنَّا ... قَدْ قُبِلْنَا أَوْ طُرِدْنَا

لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هُوَ ... المحْرُومُ والمطْرُودُ مِنَّا

ومَنِ المقبُولُ مِمَّنْ ... صَامَ مِنَّا فَيُهَنَّى

(مباحث هذا الكتاب)

١) أنت والذكر.

٢) أنت والقرآن.

٣) أنت والتقوى.

٤) أنت والصلاة.

٥) أنت والصيام بعد رمضان.

٦) أختاه أنت والحجاب بعد رمضان.

٧) أنت والصدقات.

٨) أنت والأعمال الصالحات والتزام الطاعات.

أولاً: أنت وذكر الله

لَقَدْ مَيَّزَ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ عَلَى سَائِرِ المخْلُوقَاتِ بِالكَلامِ، وَآلَتُهُ اللسَانُ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ؛ فَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا بِخَيْرٍ بَلَّغَتْهُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنيَا وَالمنَازِلَ العُلا فِي الجَنَّةِ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَوْرَدَتْهُ المهَالِكَ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَأَفْضَلُ مَا اسْتُعْمِلَ اللسَانُ فِي ذِكْرِ اللهِ رَبِّ الأَنَامِ، فَكُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ الرَّحْمَنَ، وَلا تَكُنْ مِمَّنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فقَالَ فِيهِم رَبُّ العِبَادِ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩] فَعِشْ ذَاكِرًا للهِ تَمُتْ -إِنْ شَاءَ اللهُ- ذَاكِرًا للهِ وَيُطْلِقِ اللهُ لَكَ لِسَانَكَ عِنْدَ مَوْتِكَ وَعِنْدَ السُّؤَالِ فِي قَبْرِكَ، وَيُثَبِّتْكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بنِ

عَازِب قَالَ: قَالَ: رَسُولُ الله(١): إذا أُقْعِدَ المؤمنُ في قَبْرِهِ أُتِي، ثُمَّ شَهِدَ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ قَالَ ابنُ السَّمَّاكِ(٢): رَأَيْتُ مسْعَرًا فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيُّ العَمَلِ وَجَدْتَهُ أَنْفَعَ، قَالَ: ذِكْرُ الله. فَمَا الذِّكْرُ؟ وَمَا فَوَائِدُهُ؟ وَمَا أَهَمِيَّتُهُ؟ وَلِمَاذَا أَمَرَنَا اللهُ بِهِ بَعْدَ كُلِّ عِبَادَةٍ؟

هَذَا مَا سَنَعْرِضُ لَهُ -بِفَضْلِ الله وَقُوَّتِهِ- فِي الصَّفحَاتِ التَّالِيَةِ...

---

(١) (صحيح) البخاري ١٣٦٩، ومسلم ٢٨٧١، أبو داود ٤٧٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٦٨).

تَعْرِيفُ الذِّكْرِ:

هُوَ مَا يَجْرِي عَلَى اللسَانِ وَالقَلْبِ مِنْ تَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَكْبِيرٍ وَحَمْدٍ وَثَنَاءٍ وَوَصْفِ الله بِصِفَاتِ الجَمَالِ وَالجَلالِ؛ وَصِفَاتُ الجَمَالِ مِثْلُ الرَّحِيمِ وَالوَدُودِ وَالغَفُورِ وَالوَهَّابِ وَالرَّءُوفِ وَالتَّوَّابِ وَالرَّزَّاقِ، أَمَّا صِفَاتُ الجَلالِ مِثْلُ القَهَّارِ وَالقَوِيِّ وَالجَبَّارِ وَالمنْتَقِمِ وَالمتكَبِّرِ.

فَوَائِدُ الذِّكْرِ:

فَذِكْرُ الله يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيُرْضِي الرَّحْمَنَ، وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ، وَيُزِيلُ الهَمَّ وَالغَمَّ عَنِ القَلْبِ، وَيَجْلِبُ لِلذَّاكِرِ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ، وَيُنَوِّرُ الوَجْهَ وَيَحُطُّ الخَطَايَا وَيُذْهِبُهَا، وَيَشْغَلُ اللِّسَان بِالحَقِّ وَيُبْعِدُ عَنْهُ الفُحْشَ وَالبَاطِلَ، فَاذْكُرِ الله فِي رَخَائِكَ يَذْكُرْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَالذِّكْرُ نُورٌ لِلذَّاكِرِ فِي

الدُّنْيَا، وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ، فَالذِّكْرَ الذِّكْرَ - أَيُّهَا الحَبِيبُ - فَالذِّكْرُ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ وَتَطْهِيرٌ لِلقَلْبِ وَإِيقَاظٌ لِلضَّمِيرِ؛ يَضْمَنُ لَكَ الفَلاحَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال٤٥] وَالذِّكْرُ يَجْعَلُ حَيَاتَكَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، فَغَيْرُ الذَّاكِرِ فِي ضَنْكٍ وَشَقَاءٍ، وَالذَّاكِرُ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ فِي رَاحَةٍ وَهَنَاءٍ، قَالَ اللهُ رَبُّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فِي شَأْنِ الأَشْقِيَاءِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه١٢٤] الذِّكْرُ يَزِيدُ إِيمَانَكَ وَيُقَوِّيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال٢] البَعِيدُ عَنِ الذِّكْرِ مِنَ الغَافِلِينَ الخَاسِرِينَ هَكَذَا نَهَانَا مَوْلَانَا

رَبُّ العَالَمِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون٩] وَهُنَاكَ فَرِيقٌ آخَرُ مِنَ الهَالِكِينَ مَنْ يَسْمَعُ اسْمَ الله فَيَشْـمَئِزّ؛ قَـالَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِهِم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر٤٥] وَبِالذِّكْرِ يُغْفَرُ ذنبُك وَتُؤجَرُ أَجْرًا عَظِيمًا؛ فَالـذِّكْرُ غِـرَاسُ الجَنَّةِ، وَمُنْجٍ مِنْ عَذَابِ الله فِي الآخِرَةِ؛ وَهُوَ سَبَبُ رَحْمَتِكَ فِي الـدُّنيَا وَالآخِـرَةِ.. قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب٣٥] بَلْ إِنَّ الجَالِسَ مَعَ الذَّاكِرِينَ يَسْعَدُ بِهِم؛ لأَنَّهُم هُمُ القَوْمُ الَّذِينَ لاَ يَشْـقَى

بِهِم جَلِيسُهُم، قَالَ رَسُولُ الله(١): قَالَ مَلَكٌ مِنَ المَلائكَةِ: يَا رَبِّ إنَّ فِيهِم عَبْدَك فُلانًا لَيْسَ مِنْهُم؛ إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، فَقَالَ: هُمُ القَوْمُ الذِينَ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهُم. وَذِكْرُكَ رَبَّكَ ذِكْرٌ لَكَ، قَالَ مَالِكُ بنُ دِينَارٍ: وَالله إنِّي لأَعْلَمُ مَتَى يَذْكُرُنِي رَبِّي؟! قَالُوا: مَتَى؟! قَالَ عِنْدَمَا أَذْكُرُهُ يَذْكُرُنِي! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] بَلْ ذِكْرُ رَبِّكَ لَكَ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِكَ رَبَّكَ، فَاللهُ يَذْكُرُكَ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنَ المَلأِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ فِيهِ؛ فَإِنَّنَا نَسْتَطِيعُ القَوْلَ الآنَ بَعْدَ هَذِهِ الفَوَائِدِ: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِالله قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ؛

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٤٠٨، مسلم ٦٧٨٠، أحمد ٢/ ٢٥٢.

أَمِنَ بِهِ كُلُّ خَائِفٍ، وَعَـزَّ بِـهِ كُـلُّ ذَلِيـلٍ، وَأَنِـسَ بِـهِ كُـلُّ مُسْتَوْحِشٍ، وَاغْتَنَى بِهِ كُلُّ فَقِيرٍ، وَقَوِيَ بِهِ كُلُّ ضَعِيفٍ.

تَوَاضَعْ لِرَبِّ العَرْشِ عَلَّكَ تُرْفَعُ   فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلمُهَيْمِنِ يَخْضَـعُ
وَدَاوِ بِـذِكْرِ اللـهِ قَلْبَـكَ إِنَّـهُ   لأَشْـفَى دَوَاءٍ لِلقُلُـوبِ وَأَنْفَـعُ

أَهَمِيَّةُ الذِّكْرِ:

الإِنْسَانُ مِنَّا إِذَا وَقَعَ فِي مُصِـيبَةٍ يَتُـوهُ عَقْلُـهُ، وَيَضِـيعُ فِكْرُهُ، وَلاَ يَسْـتَحْضِرُ ذِهْنُـهُ فِي هَـذَا المَجَـالِ إِلاَّ كُـلَّ مَـنْ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، وَيَدْعُو كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْهِ مُقَرَّب، قَالَ عَنْتَرَةُ الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ فِي شَأْنِ عَبْلَةَ مَحْبُوبَتِهِ، وَالمعْرَكَةُ قَائِمَةٌ عَـلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ؛ فِي أَشُدِّهَا وَسطَ الكَرِّ وَالفَرِّ:

وَلَقَـدْ ذَكَرْتُـكِ وَالرِّمَـاحُ كَأَنَّهَا   أَشْـطَانُ بِئْـرٍ فِي لَبَـانِ الأَدْهَـمِ
فَـوَدِدْتُ تَقْبِيـلَ السُّـيُوفِ لأَنَّهَا   بَرِقَتْ كَـذَلِكِ ثَغْـرِكِ المتَبَسِّـمِ

إِنَّهُ تَذَكَّرَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً؛ لِيُصِيبَهُ الحَمَاسُ أَوْ لِيَسْتَمِدَّ مِنْ ذِكْرِهَا القُوَّةَ؛ لأَنَّهَا مَحْبُوبَتُهُ، أَمَّا أَنْتَ -أَيُّهَا الموَحِّدُ- فَانْظُرْ مِمَّنْ تَسْتَمِدُّ القُوَّةَ؟! الإِجَابَةُ: أَسْتَمِدُّ القُوَّةَ، من صَاحِبِ القُوَّةِ كُلِّهَا؛ مِنَ اللهِ، أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعًا، فَحَبِيبُكَ اللهُ، وَالقَوِيُّ القَاهِرُ هُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ [البقرة:١٦٥] لِذَا قَالَ اللهُ لِلمُؤْمِنِينَ صَحَابَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ وَقْتَ المعْرَكَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥] لِيَنْزِعَ الدُّنيَا مِنْ قُلُوبِهِم وَقْتَ الأَزْمَةِ وَالقِتَالِ، وَهُمْ حِينَئِذٍ لَيْسَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الموْتِ إِلاَّ دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ بَلْ أَقَلُّ، كُلٌّ مِنْهُم يَذْهَبُ إِلَى القِتَالِ وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ وَاحِدٌ فِي المعْرَكَةِ فَسَيَكُونُ هُوَ

هَذَا الوَاحِد، يَفْقِدُ حَيَاتَهُ؛ وَهِيَ أَغْلَى مَا يَمْلكُهُ الإِنْسَانُ فِي الدُّنيَا، حَتَّى يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، هَكَذَا وَقْتَ الأَزْمَةِ يَدْعُو كُلٌّ مِنَّا كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْهِ مُقَرَّبٍ؛ لِيَنْصُرَهُ قَائِلاً: أَغِثْنِي؛ فَمَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الله؟! لاَ يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ النِّسَاءِ مِيتَةَ الجَاهِلِيَّةِ؛ إِنَّمَا يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، تَعَلَّمْ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ الله ﷺ سَبِيلَ الأَوْفِيَاءِ، اسْتَمِعْ إِلَيْهِم وَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُم مُدَبِّرَ أُمُورِهِم وَنَاصِرَهُم عَلَى عَدُوِّهِم، قَالَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال:٩) إِنَّ هَذَا المَفْهُومَ وَقَرَ فِي قُلُوبِهِم، إِنَّهَا العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، فَلاَ اسْتِغَاثَةَ وَلاَ ذِكْرَ إِلاَّ لله مَعَ أَخْذٍ كَامِلٍ بِالأَسْبَابِ؛ لِتَدْخُلَ فِي مَعِيَّةِ الله، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ اللهُ

فَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ فَقَدَ مَعِيَّةَ الله فَقَدْ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ.. كُنْ لله كَمَا يُرِيدُ يَكُنْ لَكَ فَوْقَ مَا تُرِيدُ..

وَلأَهَمِيَّةِ الذِّكْرِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِ جَعَلَ النَّبِيُّ ذِكْرَ الله خَيْرَ الأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا وَأَرْفَعَهَا، فَقَالَ فِي الحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (١): ألا أُنَبِّئُكُمْ بخَيْرِ أَعْمَالِكُم وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكِم؟ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم؟ وَخَيْرٍ لَكُم مَنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ؟ وَخَيْرٍ لَكُم مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُم وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُم ؟قَالُوا: بَلَى، قَالَ :ذِكْرُ الله.. بَلْ بَشَّرَ رَسُولُ الله أَفْرَادَ أُمَّتِهِ بِأَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْهُم عَلَى التَّوْحِيدِ كَانَ مَثْوَاهُ الجَنَّة كَمَا فِي الحَدِيثِ: «مَنْ

---

(١) (صحيح): أحمد٢١١١٩٥، الترمذي ٣٣٧٧، ابن ماجة ٣٧٩٠.

كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] فَعَلَيْنَا أَنْ نُلَقِّنَ مَوْتَانَا بِهِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ[2]: " لَقِّنُوا مَوْتَاكُم لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ" والأَمْرُ بِهَذَا التَّلْقِينِ أَمْرُ نَدْبٍ، وَأَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى هَذَا التَّلْقِينِ، وَانْظُرْ إِلَى لُقْمَان الحَكِيم..فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ بِهِ وَأَوَّلُ مَا قَامَ وَدَلَّ وَلَدَهُ عَلَيْهِ فِي وَعْظِهِ وَنُصْحِهِ لَهُ أَنْ ذَكَّرَهُ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَصْلُ الأُصُولِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] فَهَذِهِ الكَلِمَةُ لَوْ وُزِنَتْ بِالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ..فَلا تَدَعْ ذِكْرَ الله يُفَارِقُ لِسَانَكَ

---

(١) (صحيح): أحمد ٢١٥٢٩، أبو داود ٣١١٦، صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٩٠.

(٢) (صحيح): مسلم ٩١٦، أبو داود ٣١١٧، الترمذي ٩٧٦.

حَتَّى تَزْدَادَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِ؛ فَيَسْكُنُ قَلْبُهُ وَيَطْمَئِنُّ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] فَالقَلْبُ وَاللسَانُ مُرْتَبِطَانِ فِي القُرْآنِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ العَدْنَانِ، فعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ(١): لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة:٣٤] قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِي ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أُنْزِلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أُنْزِلَ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ المَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ فَقَالَ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ؛ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ». قِيلَ فِي تُحْفَةِ الأَحْوَذِيِّ: (زَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ) أي:

---

(١) (صحيح): الترمذي ٣٠٩٤، ابن ماجة ١٨٥٦، صحيح الجامع عن أبي أمامة ٤٤٠٩.

عَلَى دِينِهِ بأنْ تُذَكِّرَهُ الصَّلاةَ والصَّومَ وَذِكْرَ الله وغيْرَهُمَا مِنَ العبَادَاتِ، وتمنَعَهُ منَ الزِّنَا وَسائرِ المُحَرَّمَاتِ...فاذْكُرِ اللهَ-أَخِي الحَبِيبَ-حَتَّى تَحُفَّكَ الملائِكَةُ وَيَذْكُرَكَ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ فَقَدْ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ ﷺ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ الله[1] يَقُولُ: " لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله إلا حَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" فَأَيُّ أَجْرٍ بَعْدَ هَذَا الأَجْرِ العَظِيمِ..فَاللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ الذِينَ تَغْشَاهُمْ رَحْمَتُكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٦٩٩، أبو داود ١٤٥٥، الترمذي ٢٩٤٥.

ذِكْرُ اللَّهِ هُوَ الغِنَى الحَقِيقِيُّ

نَعَمْ...وَالله لَوْ وُفِّقْتَ، إِلَى ذِكْرِ الله فَهَذَا فَضْلٌ مِنَ الله عَلَيْكَ عَظِيمٌ يَسْتَوْجِبُ مِنْكَ الحَمْدَ، عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ قَالَ: (١) مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابٍ مِنْ ذِكْرِ الله، قَالُوا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟! قَالَ: وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، قَالَ: وَلاَ...إِلاَّ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وَمَعَ ذَلِكَ تَجِدُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْشَغِلُ -فِي حَيَاتِهِ- بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلاَ يَنْشَغِلُ بِذِكْرِ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ..فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا كُلِّهَا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

---

(1) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥٥-٤٥٦).

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس٥٨] وَفِي هَذَا المعْنَى ذَكَّرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنَّ الغِنَى الكَامِلَ وَأَعْظَمَ وَخَيْرَ ثَوَابٍ فِي ذِكْرِهِ-جَلَّ وَعَلا-فَقَالَ: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف٤٦] أَجْمَعَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ [1]: البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هِيَ: سُبْحَانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ واللهُ أَكْبَرُ وَلا إِلَهَ إلا اللهُ، وَزَادَ أَحَدُهُم: وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللهِ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ الغَنِيَّ هُوَ صَاحِبُ المَالِ الكَثِيرِ، إنْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَلَنْ تَجِدَ مَنْ هُوَ أَغْنَى مِنْ قَارُونَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، وَمَعَ ذَلكَ قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِ وَمَالِهِ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص٨١] لَكِنْ

---

(١) راجع تفاسير ابن كثير والقرطبي والجلالين...

الأَغْنَى مِنْهُ بِكَثِيرٍ رَجُلٌ رُبَّمَا لا يَعْرِفُهُ السَّوَادُ الأَعْظَمُ مِنَ المسْلِمِينَ رغْمَ أَنَّهُ صحَابِيٌّ جَلِيلٌ.. هَذَا الصَّحَابِيُّ هُوَ ضَمْرَةُ بنُ جُنْدُب ﷺ(١): الذِي فَازَ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ -وَهَذَا هُوَ الغِنَى الحَقِيقِيُّ- عِنْدَمَا خَرَجَ مُهَاجِرًا، وَقَالَ لأَهْلِهِ: أَخْرِجُونِي مِنْ أَرْضِ المُشْرِكِينَ، وَاحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ النَّبِيِّ، ثُمَّ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بِالنَّبِيِّ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قُرْآنًا: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠] فَهَلْ هُنَاكَ رَجُلٌ أَغْنَى مِنْ رَجُلٍ وَهَبَهُ اللهُ الأَجْرَ العَظِيمَ؟! فَهَذَا هُوَ الغِنَى

---

(١) راجع تفسيري ابن كثير والقرطبي.

الحَقِيقِيُّ أيُّها الأَخُ الحَبِيبُ...فَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ ،قَالَ اللهُ تَعَالَى آمِرًا نَبِيَّهُ: ﴿واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر٩٩] وَاليَقِينُ فِي الآيَةِ هُوَ المَوْتُ. قَالَ اللهُ ﷻ آمِرًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح٧] والنَّصَبُ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ: هُوَ التَّعَبُ وَالاجْتِهَادُ فِي الطَّاعَةِ، فَيَا أَخِي الحَبِيبَ: اتْعَبْ لله فِي الدُّنيَا تَسْتَرِحْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَتَأْمَنْ عَذَابَ اللهَ...

لِمَاذَا الذِّكْرُ؟ وَلِمَاذَا أَمَرَنَا اللهُ بِهِ؟!

لأَنَّهُ عِبَادَةٌ لاَ تُكَلِّفُ الإِنْسَانَ شَيْئًا، فَالذِّكْرُ أَيْسَرُ عِبَادَةٍ ،بَلْ وَأَجَلُّ وَأَفْضَلُ العِبَادَاتِ، فَهَذَا اللسَانُ الَّذِي لاَ يَكلُّ وَلاَ يَملّ مِنَ الغِيْبَةِ وَالنَّمِيمِةِ، وَنَهْشِ أَعْرَاضِ النَّاسِ عِنْدَمَا يَأْتِي للذِّكْرِ يَتَكَاسَلُ وَيَفْسَدُ -وَلا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ

بِالله -وَذَلِكَ؛ لأَنَّ صَاحِبَهُ هُوَ الَّذِي أَفْسَدَهُ ،فَهُنَـاكَ أَعْـمَالٌ صَالِحَةٌ لا تُكَلِّفُ الإِنْسَانَ مَالاً، وَثَوَابُهَا عَظِـيمٌ ،مِـنْ هَـذِهِ الأَعْمَالِ ذِكْرُ الله، فَبِالله عَلَيْـكَ لَـوْ سَـبَّحْتَ الآنَ فَقُلْـتُ : سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، هَلْ كَلَّفَكَ هَذَا القَوْلُ شَـيْئًا؟! قَـالَ المَعْصُـومُ ﷺ[1]: «كَلِمَتَـانِ خَفِيفَتَـانِ عَلَـى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَـانِ فِـي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ» بَـلْ قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَـدِيثٍ آخَـرَ[2]: «مَـنْ قَـالَ سُبْحَانَ اللَّـهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَـهُ نَخْلَـةٌ فِـي الْجَنَّـةِ» سُبْحَانَ الله! فَكَمْ ضَيَّعْنَا مِنْ نَخِيلٍ وَثَوَابٍ عَظِيمٍ مِنْ رَبٍّ

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٤٠٦، مسلم ٢٦٩٤، الترمذي ٣٤٦٧.

(٢) (صحيح): الترمذي ٣٤٦٤، صحيح الجامع.

جَلِيلٍ... بل قال النبي ﷺ[1]: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» وقال[2]: «لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، وَقَدْ أَمَرَ الله عِبَادَهُ بِالإِكْثَارِ مِنْهُ فَقَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وَاخْتَصَّ رَسُولُ الله الذَّاكِرِينَ بِالسَّبْقِ إِلَى الخَيْرَاتِ وَالجَنَّاتِ، قَالَ رَسُولُ الله[3]: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». وَيُوصِي رَسُولُ الله أَحَدَ الصَّحَابَةِ ﷺ عِنْدَمَا

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٤٠٥، مسلم ٢٦٩١، الترمذي ٣٤٦٦.

(٢) (صحيح): البخاري ٦٤٠٦، مسلم ٢٦٩٥، الترمذي ٣٤٦٧.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٦٧٦، أحمد ٨٠٩١.

قَالَ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ[1]: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»..

يَقُولُ ابنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَفْرِضْ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً إلا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا وَعَذَرَ أَهْلَهَا فِي حَالِ العُذْرِ إلا الذِّكْرَ، فَإِنَّ الله لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا مَعْلُومًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَلَمْ يَعْذُرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ... قَالَ ابنُ القَيِّم (رحمَهُ الله): الذِّكْرُ للقَلْبِ مِثْلُ المَاءِ للسَّمَكِ، فَكَيْفَ حَالُ السَّمَكِ إِذَا فَارَقَ المَاءَ؟! هَذَا الذِّكْرُ هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الحَيِّ وَالمَيِّتِ، فَكَم مِنَ الأَحْيَاءِ مَاهُمْ أَمْوَاتٌ!.

---

(١) (صحيح): الترمذي ٣٣٧٥، ابن ماجة ٣٧٩٣، صحيح سنن ابن ماجة ٢/١٢٤٦

الذكرُ أعظمُ الأعمالِ وأنفعُها:

عَنْ عَبْدِالله بن سَلامٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ فَتَذَاكَرْنَا أَيَّ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَى الله أَنْفَعُ لَعَمِلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ جِبْرِيلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الحشر١] فَهَلْ هُنَاكَ عَمَلٌ أَعْظَمُ مِنْ ذِكْرِ خَالِقِكَ؟! قَالَ اللهُ فِي الآيَةِ السَّابِقَةِ :مَا ،وَلَمْ يَقُلْ: مَنْ؛لِلتَّغْلِيبِ، فَكُلُّ مَا فِي الكَوْنِ مُسَبِّحٌ سَوَاءٌ كَانَ عَاقِلاً أَمْ غَيْرَ عَاقِلٍ، وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ؛ لِذَلِكَ يَقُولُ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ :كُلُّ عَامِلٍ لله بِطَاعَةِ الله فَهُوَ ذَاكِرٌ لله... فَإِذَا ذَكَرَ اللسَانُ اللهَ اطْمَأَنَّ القَلْبُ بِذِكْرِ الحَقِّ، وَتَوَافَقَا مُوَافَقَةً عَظِيمَةً، فَهُمَا أَعْظَمَا عُضْوَيْنِ فِي جِسْمِ الإِنْسَانِ، ذِكْرٌ (لِسَانٌ ذَاكِرٌ) وَاطْمِئْنَانٌ

(قَلْبٌ مُطْمَئِنٌّ شَاكِرٌ). فَيَسْتَجِيبُ الاثْنَانِ لله الحَقِّ فَلا نَوَازِعَ لِلشَّهْوَةِ وَلا مَجَالَ لاتِّبَاعِ الضَّلالِ وَالهَوَى.. قَالَ رَسُولُ الله فِي اللِّسانِ[1]: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جهَنَّمَ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!».. وقال في القلب[2]: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ» فَالاثْنَانِ طَرِيقُهُمَا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ تُؤَدِّي إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ: أَيُّ الطَّرِيقَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَسْلُكَهُ!.

---

(١) (صحيح): أحمد ٢١٥٥٨، الترمذي ٢٦١٦، النسائي ٢٢٢٤. صحيح الجامع ٩٢٦٧.

(٢) (صحيح): البخاري ٥٢، مسلم ١٥٩٩، أبو داود ٣٣٢٩.

الذِّكْرُ بَعْدَ كُلِّ عِبَادَةٍ:

أَوَّلُ مَا تَفْعَلُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ هُوَ تَكْبِيرُ المَوْلَى ﷻ عَلَى مَا هَدَاكَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ عُظْمَى؛ أَنْ أَطَالَ عُمُرَكَ وَجَعَلَكَ تَسْعَدُ بِبَشَائِرَ وَفَضَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ الكَرِيمِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥] نَعَمْ.. فَبَعْدَ إِكْمَالِ العِدَّةِ وَتَمَامِ الشَّهْرِ الكَرِيمِ، وَبَعْدَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﷻ إِلَى صِيَامِ هَذِهِ الفَرِيضَةِ العَظِيمَةِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَقَبْلَهَا هَدَانَا لِنِعْمَةٍ أَهَمَّ وَأَعْظَمَ وَأَجَلَّ وَأَعَمَّ وَهِيَ نِعْمَةُ الإِسْلامِ. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨] فَأَنْتَ لَمْ تَخْتَرْ أَبَاكَ أَوْ أُمَّكَ، وَلَمْ تَخْتَرْ كَونَكَ ذَكَرًا أَمْ أُنثَى، وَلَمْ تَخْتَرْ هَذَا الدِّينَ العَظِيمَ لِنفسِكَ -وَأَنْتَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّكَ- إِنَّمَا اخْتَارَكَ اللهُ لِهَذَا

الدِّينِ العَظِيمِ، وَاخْتَارَ هَذَا الدِّينَ العَظِيمَ لَكَ، إنَّهَا هِدَايَـةُ الله لَكَ، لِذَا فَقُلْ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام١٦١] يُنَادِي رَبُّكَ عَلَى العَالمين[1]: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ» فَقُلْ: الحَمْدُ لله عَلَى نِعَمِكَ؛ وَأَهَمُّ تِلْكَ النِّعَمِ نِعْمَةُ الإِسْلامِ..

- فالإِسْلامُ أَمْرُ الله لِلأَنْبِيَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى للخَلِيلِ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة١٣١]
- وَالإِسْلام دُعَاءُ أَنْبِيَاءِ،قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَوَلَدُهُ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة١٢٨]

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٧٧، الترمذي ٢٤٩٥، ابن ماجة ٤٢٥٧.

- وَالإِسْلامُ وَصِيَّةُ أَنْبِيَاء: انْظُرْ كَيْفَ وَصَّى إِبْرَاهِيمُ وَيَعْقُوبُ أَبْنَاءَهُمَا قَبْلَ مَوْتِهِمَا: ﴿ووَصَّى بِهَا إبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلا وأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة١٣٢]
- فَأَوْصِ أَبْنَاءَكَ بِخَيْرٍ وَتَعَلَّمْ مِنِ الأَنْبِيَاءِ؛ حَتَّى لاَ يَنْشَغِلُوا بِدُنْيَاهُم عَنْ دِينِهِم وَرَبِّهِم وَسُنَّةِ نَبِيِّهِم.
- وَأُمْنِيَةُ أَنْبِيَاء...قَالَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ: ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف١٠١]

فَرَبُّكَ نُورٌ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور٣٥]

ونَبِيُّكَ نُورٌ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة١٥]

وقُرْآنُكَ نُورٌ: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن٨]

وإسلامُكَ نُورٌ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر ٢٢] فَالحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا النُّـورِ، ثُـمَّ عَجَبًا لنَا أَنْ نَعيشَ مُغَيَّبينَ عنهُ.

وَكَذلِكَ ذِكْرُ الله بَعْدَ فَرِيضَةِ الحِجِّ، قَـال اللهُ ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة ٢٠٠] فَقَـدْ كَـانَ العَـرَبُ قَبْـلَ الإِسْـلامِ يَـذْكُرُونَ آبَـاءَهُم، وَيَتَفَـاخَرُونَ بِهِـمْ وَبِـأَعْمَالِهِمْ، فَـأَمَرَهُمْ اللهُ أَنْ يَـذْكُرُوه كَذِكْرِهِمْ آبَاءَهُم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا؛ لأَنَّ الَّـذِي أَنْعَـمَ عَلـيْهِم وَعَلَى آبَـائِهِمْ هُـوَ اللهُ ﷻ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل ١٩]

فَالذِّكْرُ بَعدَ الذِّكرِ يَجْعَلُ قَلْبَكَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، وَعَيْنَكَ بَاكِيةً ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد ١٦] ثُمَّ نَهَاهُمُ المَولَى ﷻ عَنْ أَنْ يَكُونُوا كَأَهْلِ الكِتَابِ؛ فَنَحْنُ أُمَّةٌ خَيِّرَةٌ ذَاكِرَةٌ شَاكِرَةٌ ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد ١٦] وَانْظُرْ إِلَى تَتَابُعِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد ١٧] عَقِبَ الآيَةِ السَّابِقَةِ؛ فَكَمَا أَنَّ المَاءَ سَبَبُ إِحْيَاءِ الأَرْضِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ إِحْيَاءٌ لِلْقَلْبِ، قَالَ النَّبِيُّ المَعْصُومُ ﷺ [1]: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».. فَذِكْرٌ بَعْدَ الصِّيامِ وَذِكْرٌ بَعْدَ الحجِّ –

---

١) (صحيح): البخاري ٦٤٠٧، مسلم ٧٧٩.

وَأَيْضًا- ذِكْرٌ بَعْدَ الصَّلاةِ. اسْمَعْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ لِمعاذِ بنِ جَبَلٍ بَعْدَ أنْ أخَذَ بيَدِهِ، وَقَالَ مُقْسِمًا[1]: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فقال: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادتِك».. نَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:١٨٥)؛ لِنَجِدَ أنَّ الآيَةَ الكَرِيمَةَ الَّتِي تَلِيهَا هِيَ آيَةُ الدُّعَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦) فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّتَابُعِ العَجِيبِ البَدِيعِ، فَبَعْدَ إِكْمالِ العِدَّةِ تَكْبِيرٌ، وبَعْدَ التَّكْبِيرِ شُكْرٌ، وبَعدَ الشُّكْرِ دُعَاءٌ، فَادْعُ الله ﷻ أنْ

---

(١) (صحيح): أحمد ٢١٦٢١، صحيح الجامع ٧٩٦٩.

يتقبَّلَ مِنكَ صَومَكَ وصَلاتَكَ وصَالِحَ أعْمَالِكَ، فَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَادْخُلْ إِلَى عِبَادةٍ أُخْرَى وَلاَ تَكْسَل.

ثمرة الذكر في الدنيا والآخرة، فهل من حاصد فطن ؟!

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ[1]: «مَا يُجْلِسُكُمْ، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، فَقَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟! قَالُوا: آللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ لِتُهْمَةٍ لَكُمْ ،إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلائِكَةَ»..هَؤُلاءِ حَصَلُوا عَلَى الأَجْرِ العَظِيمِ، وَانْظُرْ عَلَى النَّقِيضِ تَمَامًا مِنْ هَؤُلاءِ وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ المُنَافِقِينَ: قَالَ ابنُ

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٧٠١، الترمذي ٣٣٧٩، النسائي ٥٤٢٦.

عُمَرَ(١): بَيْنَا النَّبِيُّ يَسِيرُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَرَكْبٌ مِنَ المُنَافِقِينَ يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّآنِ هَـؤُلاءِ وَلا أَرْغَبَ بُطُونًا وَلا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللقَاءِ مِنْهُم، وَقَالَ أَحَدُهُم: انْظُرُوا هَـذَا يَفْتَحُ قُصُورَ الشَّامِ وَيَأْخُذُ حُصُونَ بَنِي الأَصْفَرِ! فَأَطْلَعَهُ اللهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَمَا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ، فَقَالَ: احبسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ ثُمَّ أَتَاهُم فَقَالَ قُلْتُم كَذَا وَكَذَا، فَحَلَفُوا وقالوا: مَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، يُرِيدُونَ كُنَّا غَيْرَ مُجِدِّينَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره قال: حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم. الحديث، وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه.

تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة ٦٥-٦٦] قَالَ ابنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ رَسُولِ الله، وَهُوَ يَقُولُ: (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) وَرَسُولُ الله يَقُولُ: " قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ " فَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَحْيَا بِالإِيمانِ وَطَاعَةِ الله، وَحَيَاةُ العَبْدِ عَلى قَدْرِ اسْتِجَابَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، وأَمَّا المُعرِضُ عَنْ دَعْوَةِ الحَقِّ وَأَصَمَّ أُذُنَهُ وأَغْلَقَ قلبَه أَمَامَ دَعْوَةِ رَسُولِ الله ﷺ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَجَسَدُهُ مَا هُوَ إلا قَبْرٌ لِقَلْبِهِ، وَقَالَ رسُولُ الله ﷺ [1] «مَثَلُ البَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِى لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ

---

(١) (صحيح): البخارى ٦٧٠٤، مسلم ٧٧٩.

والميِّتِ» فَالعَبْدُ المُسْلِمُ الذَّاكرُ رَبَّهُ كَثِيرًا مُؤمَّنٌ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ الله، أَلَمْ تقرأْ قَوْلَ النَّبيِّ فِي شَأْنِ السَّبعَةِ الَّذِينَ يُظلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة(١): «وَرَجُلٌ ذكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»؟! فَقَدْ كَانَ النَّبيُّ يَذكُرُ اللهَ فِي كُلِّ أحيَانِهِ كَمَا أَخْبَرَتْنَا أُمُّنَا عَائِشَةُ(٢). بِالله عَلَيْكَ إنِّي سَائِلُكَ سُؤالاً: رَجُلٌ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى الدَّوَامِ فَهَلْ يَقُومُ بِفَاحِشَةٍ أَوْ يَفْعَلُ مَعْصِيَةً؟! فَبِالذِّكْرِ يَهْدَأُ الجِسْمُ، وَيَطْمَئِنُّ القَلْبُ، فَاجْعَلْ حَيَاتَكَ كُلَّهَا لله -جَلَّ وَعَلا- وَلا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) (صحيح): البخارى ٦٦٠، مسلم ١٠٣١، الترمذى ٢٣٩١.

(٢) (صحيح): مسلم ٣٧٣، أبو داود ١٨، الترمذى ٣٣٨٤.

العَالَمِينَ ﴾ [الأنعام١٦٢] وَأَقْبِلْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- عَلَى العِلْمِ الشَّرْعِيِّ بِشَغَفٍ وَنَهَمٍ؛ حَتَّى تَعْبُدَ اللهَ عِبَادَةً صَحِيحَةً؛ فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ عَبَدُوا رَبَّهُم عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ وَهُدًى فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا!! وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعًا!!. فَلَوْ نَفَعَ عِلْمٌ بِلا عَمَلٍ لَمَا ذَمَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَهْلَ الكِتَابِ الذِين عَلِمُوا وَلَمْ يَعْمَلُوا، وَقَالُوا فِي غِلْظَةٍ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا. وَلَوْ نَفَعَ عَمَلٌ بِلا إِخْلاصٍ لَمَا ذَمَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- المنَافِقِينَ. أَمَّا المؤْمِنِينَ فَقَدْ مَدَحَهُمُ اللهُ لأَنَّهُم عَلِمُوا وَعَمِلُوا، فَلا كَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ العِلْمِ، وَلا شَرَفَ أَعَزُّ مِنَ الحِلْمِ وَالعَمَلِ؛ لِذَا فَاجْعَلْ حَيَاتَكَ كُلَّهَا للهِ عَلَى فَهْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

ثانيًا: أَنْتَ وَالقُرْآن

القُرْآنُ هُوَ النُّورُ، وَالَّذِي أَنْزَلَهُ هُوَ اللهُ؛ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؛ لِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨] فَهُوَ نُورٌ فِي مَصْدَرِهِ وَنُورٌ فِي مُحْتَوَاه، وَهُوَ الحَقُّ فِي مَصْدَرِهِ وَالحَقُّ فِي مُحْتَوَاه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥] فَأُوصِيكَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- وَأُوصِي نَفْسِي بِعَدَمِ هَجْرِ القُرْآنِ، فَأَحْيَانًا يَغِيبُ أَحَدُنَا عَنْ قِرَاءَتِهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ يَأْتِي لِيَقْرَأَ القُرْآنَ بَعْدَ غِيَابٍ يَجِدُ القُرْآنَ كَالنُّورِ الَّذِي يُضِيءُ ظَلَامَ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَتَمَكَّنُ مِنَ القَلْبِ فَيُنِيرُهُ بِنُورِ الإِيمَانِ وَالقُرْآنِ، ثُمَّ سُرْعَانَ مَا يَخْبُو هَذَا النُّورُ إِذَا مَا ابْتَعَدَ أَحَدُنَا عَنْ تِلَاوَتِهِ،

إِنَّهُ الكِتَابُ الَّذِي أَسَرَ المشْرِكِينَ فَسَجَدُوا لله؛ فَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ(١): "أَنَّ النَّبِيَّ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ المسْلِمُونَ وَالمشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ" فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ القَوْمِ إِلاَّ سَجَدَ، بَلْ كَانَ المشْرِكُونَ يَذْهَبُونَ خُفْيَةً بِالليْلِ؛ لِيَسْمَعُوا القُرْآنَ مِنْ فَمِ النَّبِيِّ العَدْنَانِ وَأَصْحَابِهِ الكِرَام، أَمَّا نَحْنُ اليَوْمَ -وَنَحْنُ أَصْحَابُ القُرْآنِ- نَرَانَا لاَ نَتَأَثَّرُ وَلاَ نَخْشَعُ عِنْدَمَا نَسْمَعُ القُرْآنَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ، فَهَلْ أَصْبَحَتْ قُلُوبُنَا مِثْلَ الجِبَالِ؟! فَالجِبَالُ تَخْشَعُ مِنْ خَشْيَةِ الله تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر٢١) أَمَّا نَحْنُ فَلاَ أَدْرِي مَاذَا أَقُولُ؟ فَالعَوْدَةَ العَوْدَةَ لِلقُرْآنِ.

---

(١) (صحيح): البخاري١٠٦٧، مسلم ٥٧٦، أحمد١٤٠٦.

وَالقُرْآنُ(١) -لُغَةً- مَصْدَرٌ مُشْتَقٌّ مِثْلُ رُجْحَانٍ وَكُفْرَانٍ وَغُفْرَانٍ وَشُكْرَانٍ، وَقِيلَ(٢): اسْمٌ عَلَمٌ لِهَذَا الكِتَابِ العَظِيمِ كَالإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَاةِ، وَقَدْ شَرَّفَ اللهُ بِهِ العَرَبَ وَأَنْزَلَهُ بِلُغَتِهِم؛ لأَنَّ العَرَبِيَّةَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر٢٨) قَالَ الثَّعَالِبِيُّ: مَنْ

---

(١) هذا قول اللحياني، وذهب الفراء إلى أنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضا، أما الأشعري فقال: مشتق من قرنت الشيء بالشيء، لقران السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض، وذهب الشافعي إلى أنه ليس مهموزا ولا مشتقا بل هو عَلَمٌ.

(٢) هذا قول الزجاج،ونقل صاحب الإتقان قول الجاحظ أنه سُمِّيَ قرآنا؛ كما سمَّى العرب كلامهم ديوانًا، فسورة كقصيدة، وآية كالبيت الشعري، وآخر السورة فاصلة كقافية.

أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ نَبِيَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ نَبِيَّهُ أَحَبَّ العَرَبَ؛ فَهُوَ مِنْهُم، وَمَنْ أَحَبَّ العَرَبَ أَحَبَّ لُغَتَهُم، وَمَنْ أَحَبَّ لُغَتَهُم أَحَبَّ القُرْآنَ؛ فَقَدْ نَزَلَ بِلُغَتِهِم..

فَاقْرَأ القُرْآنَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر٢٩]

انْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ فَأَتَى التَّعْبِيرُ بِالفِعْلِ المضَارِعِ الَّذِي يُفِيدُ الحُضُورَ وَالاسْتِمْرَارَ وَدَوَامَ الحَالِ؛ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكَ تِلاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ؛ فَاجْعَلْ دَيْدَنَكَ هُوَ القُرْآنَ لاتُفَارِقهُ أَبَدًا، فَقِرَاءَةُ القُرْآنِ مِنْ آنٍ إِلَى آنٍ؛ تُصَحِّحُ سُلُوكَ الإِنْسَانِ، وَهِيَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ أَنْزَلَهُ فِي القُرْآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [النمل ٩١-٩٢]

وَحَثَّنَا اللهُ فِي آياتٍ مُتعدِّدَةٍ مِنَ الكِتَابِ العظِيم عَلَى تِلاوةِ القُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل ٢٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل ٤] ثُمَّ نَأْتِي إِلَى مَرْحَلَةٍ ثَانِيةٍ وَهِيَ التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٨٢] وَهَذِهِ المَرْحَلَةُ أَعْظَمُ المَرَاحِلِ أَنْ تَتَدَبَّرَ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهِ.

فَوَاللهِ لَوْ تَدَبَّرْتَ كِتَابَ رَبِّكَ لأَصَابَكَ العَجَبُ العُجَابُ، فَالكَوْنُ كُلُّهُ رَاحَ يَعِظُ ابنَ آدَمَ لعَلَّهُ يَعِي أَوْ يَتعَلَّمُ، فَكَانَ هَذَا المخْلُوقُ الأَعْجَمُ أَبْلَغَ عِبَارَةً مِمَّنْ يَعْقِلُ الأُمُورَ وَيَتكَلَّمُ، فَالغُرَابُ عَلَّمَ ابنَ آدَمَ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ؟! وَالنَّمْلَةُ تَنْصَحُ لِقَوْمِهَا؛ حَتَّى لا يَحْطِمَنَّهُم سُلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ، وَالْهُدْهُدُ الذِي تَعَجَّبَ مِنْ سُجُودِ أَهْلِ سَبَأٍ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ الله، وَالكَلْبُ الَّذِي جَالَسَ الصَّالِحِينَ فَأَصَابَهُ بَرَكَتُهُمْ، وَالبَحْرُ الذِي انْصَاعَ لأَوَامِرِ رَبِّهِ حِينَ حَمَلَ نُوحًا إِلَى بَرِّ الأَمَانِ، وَاليَمُّ الَّذِي أَنْجى مُوسَى -بأمر الله- مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً وَهُوَ طِفْلٌ صغيرٌ، وَأُخْرَى وَهُوَ نَبِيٌّ كَبيرٌ؛ عِنْدَمَا لاحَقَهُ هَذَا الطَّاغُوتُ فَضَربَ مُوسَى البَحْرَ بعَصَاهُ، فَصَارَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّودِ العَظِيمِ (الجَبَل الضَّخْم)، وَالنَّارُ التِي غَيَّرَتْ طَبِيعَتَهَا فَصَارتْ مُشْرِقَةً -بِأَمْرِ رَبِّهَا- لا مُحْرِقَةً مُهْلِكَةً.. بِالله عَلَيْكَ لَوْ قَرأتَ وَتَدَبَّرْتَ هَذِهِ الأُمُورَ، أَلاَ تَتَفَكَّرُ وَتَخْشَعُ لله رَبِّ العَالِمِينَ؟!..وَبَعْدَ هَذَا التَّفَكُّرِ يَزْدَادُ القَلْبُ خَشْيَةً لله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[الأنفال: ٢] عِنْدَ ذِكْرِ الله تَوْجَلُ قُلُوبُ الموحِّدِين وإذَا سَمِعُوا القُرْآنَ ازْدَادُوا إِيمَانًا؛ فاللهُمَّ اجْعَلْنَا مِن هَؤُلاءِ

يَتَحَجَّجُ أحَدُنَا بِحِجَجٍ وَاهِيَةٍ؛ بِأَنَّهُ رجُلٌ أُمِّيٌّ؛ لا يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ، فَكَيْفَ يَقْرَأُ القُرْآنَ؟! أَقُولُ لَهُ. أَبْشِرْ..فَقَدْ وعَدَكَ اللهُ بِالرَّحْمَةِ!! فَاسْتَمِعْ لِلقُرْآنِ وَأَنْصِتْ يَرْحَمْكَ اللهُ، أَلَمْ يَقُلِ المَوْلَى سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]؟! فَفَضْلُ القُرْآنِ عَلَى الكَلامِ كُلِّهِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، قَالَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّان: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلامِ رَبِّنَا، فَاقرَأ القُرْآنَ وَاسْتَمْتِعْ وَتَدَبَّرْ، وَمِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ أَنَّهُ أَنزَلَ القُرْآن عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ؛ تَيْسِيرًا عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ الخَيِّرَةِ؛ فَعَنْ عُروَة بنِ

الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ ﷺ (١): «إِنَّ هَذا القُرآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ؛ فاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» وَمَعَ هَذَا التَّيْسِيرِ يَتَحَجَّجُ شَخْصٌ آخَرُ بِأَنَّهُ لا يُحْسِنُ التِّلاوَةَ، وأَنَّهُ يُتَعْتِعُ فِيهِ، نَقُولُ لَهُ: لَكَ أَجْرَانِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- قَالَ النَّبِيُّ المعْصُومُ ﷺ (٢): «الماهِرُ بالقُرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، والذي يقرؤُهُ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شاقٌّ؛ لَهُ أجْرَانِ اثْنَانِ» فَقِرَاءَةُ القُرْآنِ تُحَسِّنُ أَخلاقَ الإِنْسَانِ، فَفَضْلُ القُرْآنِ عَلَى الكَلامِ كُلِّهِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، قَالَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلامِ رَبِّنَا، فَمُجَرَّدُ أَنْ تَنْظُرَ فِي المصْحَفِ عِبَادَةٌ تُثَابُ عَلَيْهَا، وَمِنْ عَجَائِبِ القُرْآنِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٤١٩، مسلم ٨١٨، أبو داود ١٤٧٥

(٢) (صحيح): البخاري ٤٩٣٧، مسلم ١٩٨، أبو داود ١٤٥٤

ذَلِكُمُ الكِتَابِ المعْجِزِ الخالِدِ أَنَّكَ إِذَا قَرَأْتَهُ تَجِدُهُ يُخَاطِبُكَ، بَلْ مِنْ عَجَائِبِ الأَقْدَارِ المصَاحِبَةِ لِتِلاوَةِ القُرْآنِ أَنَّكَ تَفْتَحُهُ - أَحْيَانًا - فَتَجِدُ الآيَاتِ تُخَاطِبُ فِيكَ دِينَكَ وَوَعْيَكَ وحالكَ ووَضْعَكَ بَيْنَ أَهْلِكَ وَأَحْبَابِكَ، فَرُبَّ رَجُلٍ مِنَّا كَانَ يَقْرَؤُهُ دُونَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ فَيَفْتَحُ مُصْحَفَهُ فَيَجِدُ الآيَةَ تَقُولُ لَهُ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] كَأَنَّهُ عِتَابٌ لَهُ عَلَى عَدَمِ تَدَبُّرِهِ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى، وَرُبَّ رَجُلٍ مِنَّا كَانَ ظَالِمًا نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهِ يَقَعُ بَصَرُهُ فِي القُرْآنِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢] فَيَخْشَعُ لله الوَاحِدِ الأَحَدِ وَيَرْجِعُ، وَرُبَّ رجُلٍ منَّا كَانَ يَحُومُ حَوْلَ امْرَأَةٍ سَاقِطَةٍ؛

لِيُوقِعَهَا فِي حَبَائِلِهِ، فَيَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] فَتَمَسُّ الآيَةُ شِغَافَ قَلْبِهِ، فَيَخْشَعُ لله وَيَرْجِعُ، وَرُبَّ رَجُلٍ أَصَابَهُ يَأْسٌ وَإِحْبَاطٌ مِنْ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَعِظَمِهَا، فَيَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر ٥٣] فَتُصِيبُهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَحَمَاتِ الله إِذَا عَادَ إِلَى رَبِّهِ، وَأَنَابَ وَلَزِمَ جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَرُبَّ آيَةٍ تُصْلِحُ فَرْدًا، وَرُبَّ فَرْدٍ يُصْلِحُ أُسْرَةً وَرُبَّ أُسْرَةٍ تُصْلِحُ مُجْتَمَعًا؛ فَانْشَطْ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، لَا أَنْ تُعْطِيَهُ أَجَازَةً مَفْتُوحَةً أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا، فَقَدْ كَانَ حَبِيبُ قَلْبِك

ﷺ خُلُقُهُ القُرْآنُ؛ عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ[1]: أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فَهَلْ تَعَلَّمْتَ مِنَ النبيِّ كَيْفَ يَكُونُ القُرْآنُ أَنِيسَكَ وَجَلِيسَكَ؟ نَاهِيكَ عَنْ ثَوَابِ القُرْآنِ[2]: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».. وَكَذَا[3]: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٨٢، مسلم ٢٥٣، أبو داود ٥١.

(٢) (صحيح): الترمذي ٢٩١٠، صحيح الجامع ٦٤٦٩.

(٣) (صحيح): أبو داود ١٤٦٤، صحيح الجامع ٨١٢١.

مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا». أَمَّا أَنْ تَتْرُكَ القُرْآنَ بالكُلِّيَّةِ، وَلا تَسْمَعهُ إِلاَّ فِي المَآتِمِ وَعِنْدَ القُبُورِ، فَالقُرْآنُ لَمْ يَنْزِلْ لِلأَمْوَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الأَحْيَاءِ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ (الأنعام:٣٦) أَمَّا الأَمْوَاتُ فَقَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام:٣٦) نَعَمْ وَاللهِ... فَالقُرْآنُ نَزَلَ لِلأَحْيَاءِ، فَهُوَ دُسْتورُ حَيَاةٍ، يَدْخُلُ أَحَدُنَا عَلَى أَخِيهِ فَيَجِد القُرْآنَ فِي مَنْزِلِهِ، فَيَقُولُ لَهُ مُتَعَجِّبًا: خَيْرًا، قَاصِدًا بِذَلِكَ أَنَّ مُصِيبَةً حَدَثَتْ بِالمَنْزِلِ، أَوْ أَنَّ عَزِيزًا لَدَيْهِمْ فَارَقَ الحَيَاةَ، ألا يَعْلَمُ هَذَا المتَعَجِّبُ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ رُوحُ الحَيَاةِ وَلا حَيَاةَ بِدُونِهِ؟! سَمَّاهُ اللهُ رُوحًا، فَجِسْمٌ بِلا رُوحٍ جُثَّةٌ هَامِدَةٌ، وَالحَيَاةُ بِلا قُرْآنٍ مَوْتٌ حَقِيقِيٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا

كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى٥٢] فالقُرْآنُ رُوحُ الحَيَاةِ، وَهُوَ حَيَاةُ هَذِهِ الأُمَّـةِ العَظِيمَةِ الخَيِّرَةِ.

- وسَمَّاهُ اللهُ النُّورَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء ١٧٤]
- وَقَالَ- أَيْضًا- ﷻ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ [الأنعام ١٢٢]
- وَسَمَّاهُ اللهُ هُدًى وَشِفَاءً فَقَالَ : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت ٤٤]
- وَسَمَّاهُ اللهُ الفُرْقَانَ فَقَـالَ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان ١]

- وَسَمَّاهُ القَوْلَ الفَصْلَ فَقَالَ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق ١٣]
- وَسَمَّاهُ أَحْسَنَ الحَدِيثِ فَقَالَ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر ٢٣]
- وَوَصَفَهُ اللهُ بِأَنَّهُ ذِكْرٌ مُبَارَكٌ فَقَالَ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [الأنبياء ٥٠] فَاقْرَأ القُرْآنَ، فَقِرَاءَةُ القُرْآنِ عُنْوَانُ الإِيمَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة ١٢١] وَلَقَدْ رَبَطَ رَبُّنَا بَيْنَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت ٤٥]. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُكَلِّمَ اللهَ فَاقْرَأ القُرْآنَ، وَإِنْ

أَرَدْتَ أَنْ يُكَلِّمَكَ اللهُ فَادْخُلِ إِلَى الصَّلاةِ، وَتَـذَكَّرْ أَنَّ الجِنَّ سَمِعَ القُرْآنَ وَآمنَ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف ٢٩] سُبحَانَ الله.. جِـنٌّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ثُمَّ يَتَوَاصَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُم بِاتِّبَاعِ هَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ بِقَوْلِهِم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف ٣١] وَمَـا نَتِيجَـةُ الإِيْـمانِ بِحَبِيـبِ القُلُوبِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف ٣١]

فَأَسْأَلُكَ بِاللهِ العَظِيمِ أَنْ تَتَعَاهَدَ القُرْآنَ؛ إِنَّنِي أَعْـرِفُ أُنَاسًا يُدَاوِمُونَ يَوْمِيًّا كُلَّ صَبَاحٍ عَلَى قِرَاءَةِ الجَرِيدَةِ كَلِمَـةً

كَلِمَةً، وَلَوْ دَاوَمُوا عَلَى قِرَاءَةِ القُرْآنِ لَحفِظُوا القُرْآنَ كَامِلاً عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ مُنْذُ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ؛ كَمَا أَخْبَرَنِي أَحَدُهُم مُعْتَرِفًا بِذَلِكَ؛ فَاقْرَأْ جُزْءًا مِنْهُ يَوْمِيًّا حَتَّى لا يَتَفَلَّتَ مِنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

أَمَّا أَنْ يَبْتَعِدَ مُعْظَمُ أَفْرَادِ الأُمَّة عَنِ القُرْآنِ وَقِرَاءَتِهِ وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ، إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ، نَكَادُ نَصِلُ -بِسَبَبِهَا- إِلَى مَرحَلَةٍ خَطِيرَةٍ.. نَسْأَلُ اللهَ المعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) (صحيح): البخارى ٥٠٣٣، مسلم ٧٩١.

ثالثًا: أنت وتقوى الله

إنَّ اللهَ خَلَقَ الكَوْنَ كُلَّهُ لَكَ -أيُّها الإنسَانُ- فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الكَوْنِ مُسخَّرٌ ومَخْلُوقٌ؛ لِخِدْمَتِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الذي خَلَقَ لكُم مَا في الأرْض جَميعاً ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سمَاوَاتٍ وَهُو بكُلِّ شيْءٍ عليمٌ ﴾ [البقرة:٢٩] أمَّا أنْتَ فَلِمَنْ خُلِقْتَ؟! خُلِقْت لِعِبَادَةِ الله الوَاحِدِ الأحَدِ، يَقُولُ ابنُ القَيِّم: إنَّ اللهَ أنْزَلَ الكُتُبَ السَّماوِيَّة، وجَمَعَ الكُتُبَ السَّماوِيَّةَ فِي كِتَابٍ واحِدٍ وَهُوَ القُرْآنُ، وَجَمَعَ القُرْآنَ فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِي الفاتِحَةُ، وجَمَعَ الفاتِحَةَ فِي آيَةٍ وَاحِدةٍ وهِيَ ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نسْتَعينُ﴾ [الفاتحة:٥] فَأَنْتَ مَخْلُوقٌ؛ لِلعِبَادَةِ، وَغَايَةُ العِبَادَةِ التَّقْوَى.. وهَذَا هُوَ الهَدَفُ الأَسْمَى وَالعَظِيمُ مِنْ خَلْقِ

الإِنْسَانِ، وَالغَايَةُ مِنَ التَّقْوَى دُخُولُ الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم٦٣]

سَبِيلُكَ فِي الدُّنيا مُسَافِرِ وَلاَبُدَّ مِنْ زَادٍ لِكُلِّ مُسَافِرِ
وَلاَ بُدَّ للإنسَانِ مِنْ حَمْلِ عُدَّةٍ وَلاَ سِيَّمَا إِنْ خَافَ صَوْلَةَ قَاهِرِ

وَتَقْوَى الله ﷻ هِيَ ثَمَرةُ الصِّيَامِ، وَهِيَ أَهَمُّ وَأَعْظَمُ هَذِهِ المَكَاسِبِ، فَالتَّقْوَى فِي كِتَابِ رَبِّنَا مَرَّةً يُشَبِّهُهَا بِخَيْرِ مَطْعَمٍ، فَقَال ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة١٩٧] نَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ الكَرِيْمَةُ فِي أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَدْ كَانُوا يَحُجُّونَ كُلَّ عَامٍ بِلا زَادٍ يَتَقَوَّتُونَهُ وَيَتَقَوُّونَ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ، فَكَانُوا عَالَةً عَلَى النَّاسِ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ ﷻ أَنْ يَتَزَوَّدوا وَخَيْرُ زَادٍ تَقْوَى الله. وَمَرَّة ثَانِيَة يُشَبِّهُهَا بِخَيْرِ مَنْزِلٍ، فَقَالَ ﷻ ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ

خَيْرٌ أم مَّنْ أسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة] وهذا منزلٌ أُسِّس على التَّقْوى؛ لِـذا فَإنَّـهُ يَهْـدِي إلى الجنَّةِ، وَهذا منزلٌ أُقِيم على الفُجُورِ؛ فإنَّهُ يَهْدِي إلى النَّـار، وأحرى يُشبِّهُهَا بخيْر ملبسٍ، فقال ﷻ: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ ﴾ [الأعراف٢٦] فـالتَّقوَى هِـيَ مَطْعَمُـكَ وَمَلبسُـكَ ومَنْـزلُكَ، فَهَلْ يُوجَدُ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ يَعِيشُ بـلا مَأْكَـلٍ أَوْ مَلْـبَسٍ أَوْمَنْـزِلٍ؟. إذَنْ التَّقْـوَى لاَ غِنَـى عَنْهَـا لِلمُـؤمن المُوَحِّد. وَلأهميَّةِ التَّقوَى وعِظَم مَنْزلتِهَا؛ أَمَـرَ اللهُ بهَـا نَبيَّـهُ مُحَمَّدًا ﷺ فقال تعَـالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب١] وَأَمَرَ اللهُ بها المُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] وَلَقَدْ وَصَّى اللهُ بِهَا أَهْلَ الكتَاب وَإِيّانَـا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ-فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَاب مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] وَوَصَّى نَبِيُّنَـا الكَـرِيمُ ﷺ المسْلِمِينَ جَمِيعًا بِهَا قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقَـالَ ﷺ[1]: «أُوصِيكُمْ بتقْوى اللَّهِ وَالسَّمْع والطَّاعَةِ وَإِنْ تأمَّر علـيْكُمْ عَبْدٌ حبشِيٌّ؛ فإنَـهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فسَيَرَى اخْتِلافا كثِيرا..... » وَلِلتَّقْـوَى ثَمَـراتٌ عَظِيمَةٌ ذَكَرَهَا رَبُّنَا فِي القُرْآنِ مِنْهَا الولايَـةُ وَالمَعِيَّـةُ وَحُـبُّ الله[2]....الخ. فَاتَّقِ اللهَ وَاسْتَحِ مِنْهُ أَشَدَّ الحَيَاءِ، يَأْتِي رَجُـلٌ إِلَى النَّبِيِّ الكَرِيمِ وَيَقُولُ لَهُ: عِظْنِي يَا رَسُـول الله، فيَقُـول

---

(١) (صحيح): أحمد ١٦٦٩٢ ،وابن ماجة ٤٢، صحيح الجامع ٢٥٤٩

(٢) راجع كتابنا (التَّقْوَى جُنَّةٌ .وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ) لِزِيَادَةِ الاطِّلاع

لَهُ ﷺ[1]: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيَ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا تَسْتَحْيِي مِن رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ».

تَزَوَّدْ مِنْ حَيَاتِكَ لِلْمَعَادِ ... وَقُمْ للهِ واجْمَعْ خَيرَ زَادِ
وَلا تَرْكَن إِلَى الدُّنْيَا كَثِيرًا ... فَإِنَّ المَالَ يُجْمَعُ للنَّفَادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ ... لَهُمْ زَادٌ وأَنتَ بِغَيرِ زَادِ

تَخَيَّلْ مَعِي هَذَا المَوْقِفَ: رَجُلٌ عَالِمٌ جَلِيلٌ -أَنْتَ تُحِبُّهُ وَتَحْتَرِمُهُ وَتُقَدِّرُهُ- إِذَا رَأَيْتَهُ رُبَّمَا تَصْطَنِعُ أَمَامَهُ التَّقْوَى- وأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْهَا- فَإِذْ بِهِ يَنْظُرُ فَيَجِدُكَ فِي وَضْعٍ مُخِلٍّ وَبَشِعٍ مَعَ امْرَأَةٍ سَاقِطَةٍ، فَمَاذَا وَكَيْفَ تَتَصَرَّفُ وَقْتَهَا؟! ..لا شَكَّ -أخِي الحَبِيبَ- أَنَّ المَوْقِفَ مُؤْسِفٌ وَمُخْجِلٌ أَمَامَ هَذَا العَالِمِ الكَبِيرِ..فَمَا بَالُكَ أَنَّ الذِي يَرَاكَ هُوَ اللهُ رَبُّكَ وَرَبُّ

---

(١) (صحيح): السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٦٦.

هَذَا العَالِمِ المحْبُوبِ؟! أَنْتَ لا تَجْرُؤ عَلَى العِصْيَانِ أَمَامَ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَلِمَاذَا تَجَرَّأْتَ عَلَى الله العَظِيمِ؟! وَلِمَاذَا نَجْعَلُ الله أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْنَا؟! وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَغَارُ، فَلاَ تَأْتِ مَحَارِمَهُ، قَالَتْ أَسْمَاءُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُﷺ [١]: "لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ" فَلابُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ إِيمَانِنَا وَإِصْلاحِ فَسَادِ قُلُوبِنَا، وَالعَمَلِ -مُخْلِصِينَ- مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْضَى اللهُ عَنَّا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ وَيَرَى، قَالَ اللهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:٤٦) فَاللهُ يَعْلَمُ خَفَايَا وَظَوَاهِرَ الأُمُورِ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ وَنَتَزَوَّدَ مِنْ تَقْوَى الله قَبْلَ القِيَامَةِ

---

(١) (صحيح) البخاري ٤٦٣٤ ، مسلم ٢٧٦٠، الترمذي ٣٥٣٠

وأَهْوَالِهَا.. فَالإِيمَانُ يَحْمِي صَاحِبَهُ وَقْتَ الشِّدَّةِ، فَلاَ جَـزَعَ فِيهَا عِنْدَ البَلاءِ، وَلاَ بَطَرَ فِيهَا عِنْـدَ الـنَّعْمَاءِ؛ وَمَـا نَبِـيُّ الله إِبْرَاهِيمُ عَنَّـا بِبَعِيـدٍ الَّـذِي قَـدَّمَ جَسَـدَهُ لِلنِّـيرَانِ، وَوَلَـدَهُ لِلقُرْبَانِ، وَطَعَامَهُ لِلضِّيفَانِ، وَأَخْلَـصَ فِي عِبَـادَةِ الـرَّحْمَنِ، فَقَالَ فِيـهِ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم٣٧) نَعَـمْ إِنَّـهُ الوَفَـاءُ؛ فَالوَفَاءُ لَيْسَ عِبَادَةَ سَاعَةٍ أَوْ عِبَادَةَ شَـهْرٍ فِي السَّـنَةِ كُلِّهَـا، لا .لاَ، فَالمؤْمِنُ الحَقُّ يَعْبُدُ اللهَ؛ حَتَّى يَدْخُلَ القَبْرَ؛ إِنَّـهُ وَفِيٌّ فِي عِبَادَتِهِ وَمُخْلِصٌ فِيهَـا، وَالمـؤْمِنُ الحَـقُّ إِنْسَـانٌ مُتَـوَازِنٌ مُعْتَدِلٌ مُسْتَقِيمٌ، فَهُوَ فِي سَعَادَةٍ دَائِمَـةٍ لَـوْ يَعْلَمُهَـا الملُـوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ لجَالَدُوهُ عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ.

رابعًا: أنت والصلاة

مِنْ عَظِيمِ التَّشْرِيعِ فِي دِينِنَا الحَنِيفِ أَنْ يَخْرُجَ المُسْلِمُ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ سُرْعَانَ مَا يَبْدَأُ فَرْحَتَهُ وَعِيدَهُ فِي يَوْمِ العِيدِ بِالصَّلاةِ، فَالصَّلاةُ مِنْ مَعَانِيهَا الصِّلَةُ؛ صِلَةُ العَبْدِ بِرَبِّهِ، وَالدُّعَاءُ؛ دُعَاءُ الضَّعِيفِ العَاجِزِ إِلَى القَوِيِّ القَاهِرِ، وَالرَّحْمَةُ؛ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِعَبْدِهِ الفَقِيرِ، وَبِشَارَةُ المؤْمِنِ فِي الصَّلاَةِ، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِ زَكَرِيَّا مُبَشِّرًا إِيَّاهُ بِالوَلَدِ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٣٩) قَالَ بَلْ مِنْ أَعْظَمِ مَكَاسِبِ رَمَضَانَ الحِفَاظُ عَلَى الصَّلاةِ، وَعَوْدَةُ المُسْلِمِينَ إِلَى المَسَاجِدِ، فَتَرَاهُمْ بَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، الكُلُّ يُصَلِّي وَيَخْشَعُ لله الوَاحِدِ، فَعِنْدَمَا سَمِعْنَا

الآذانَ لبَّيْنَا نِدَاءَ الوَاحِدِ الديَّانِ، مَا تـأَخَّرَ منَّـا نشـيطٌ وَلاَ كَسْلانٌ، فَالكُلُّ يَتَسَابَقُ إِلَى طَاعَةِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

بَـلْ أَمَرَنَـا اللهُ أَنْ نَحْفَظَهَـا وَنُحَـافِظَ عَلَيْهَـا وَلاَ نَكْسَـلَ فِي إِقَامَتِهـا قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون:٩] فَالْمَقْصُـودُ بِـذِكْرِ الله: الصَّـلَوَاتُ الخَمْـسُ كَـمَا وَرَدَ فِي التَّفَاسِـيرِ، فَالصَّـلاَةُ تَرْفَـعُ الـدَّرَجَاتِ، كَـانَ أَحَـدُ السَّـلَفِ إِذَا أَسْرَفَ عَـلَى نَفْسِـهِ يَـذْهَبُ إِلَى المَسَـاجِدِ وَيَقُـولُ: خُطُـوَاتِي إِحْـدَاهَا تَرْفَـعُ دَرَجَتِـي وَالأُخْـرَى تَحُـطُّ عَنِّـي خَطِيئَتِـي؛ فَحَـافِظْ عَـلَى هَـذَا المَكْسَـبِ المهِـمِّ العَظِـيمِ، فَالمسَـاجِدُ سَتَشْـكُو إِلَى الله ظُلْـمَ العِبَـادِ لَهَـا بَعْـدَ رَمَضَـانَ، فَهَـلْ انقَطَعَـتْ

الصَّــلاةُ بانْقِضَــاءِ رَمَضَــانَ؟.. فَالصَّــلاةُ هِــيَ أَوَّلُ مَــا يُحَاسَــبُ عَليــهِ الإنسَــانُ، قَــالَ اللهُ تَعَــالَى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر ٤٢] فَتَكُــونُ أَوَّلَ إِجَابَــةٍ: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر ٤٣] وَالصَّــلاةُ هِــيَ آخِــرُ مَــا وَصَّى عَلَيْهَــا النَّبِــيُّ مُحَمَّــدٌ قَبْــلَ مَوْتِــهِ، فَقَــالَ ﷺ[1]: «الصَّـلاةَ الصَّـلاةَ.... » فَالصَّــلاةُ هِــيَ صِــلَةٌ مُسْــتَمِرَّةٌ غَــيْرُ مُنقَطِعَــةٍ بَيْنَــكَ وَبَــيْنَ الوَاحِــدِ الأَحَدِ، وَالصَّلاةُ هِيَ الفَــرْضُ الَّــذِي فَرَضَــهُ عَلَيْنــا رَبُّنَــا مِنْ فَوْقَ سَــبعِ سَــمَوَاتٍ فِي أَعْظَــمِ رِحْلَــةٍ، وَهِــيَ رِحْلَــةُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْــرَاجِ؛ لِــذَلِكَ وَرَدَ فِي القُــرآنِ فِي شَــأْنِ الصَّــلاةِ التَّعْبِــيرُ بِالأَفْعَــالِ الثَّلاثَــةِ: مَــرَّةً بِالمُضَــارِعِ

---

(١) (صحيح): أبو داود ٥١٥٦، ابن ماجة ٢٦٩٨، أحمد ٥٨٦.

فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:٣] وَمَرَّةً ثَانِيَةً بِالفِعْلِ الأَمْرِ فَقَالَ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] وَمَرَّةً أُخْرَى بِالفِعْلِ المَاضِي فَقَالَ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:٢٧٧] تَقُولُ مَثَلاً: فُلانٌ أَقَامَ البِنَاءَ، أَيْ . أَتَمَّهُ وَشَيَّدَهُ وَزَيَّنَهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَهَا وَتُتِمَّهَا، وَمِنْ هُنَا أَتَى قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ[1]: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟! فَقَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وقْتِها....الحَدِيث، انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: (عَلَى وَقْتِهَا) وَلَمْ يَقُلْ (فِي وَقْتِهَا) لِعُلُوِّ الهِمَّةِ عِنْدَ سَمَاعِكَ الأَذَانَ تُسْرِعُ إِلَى الصَّلاَةِ، وَكَذا عُلُوِّ الأَجْرِ وَالوَقْتِ،

---

(١) (صحيح) البخاري ٥٢٧، مسلم ٨٥، الترمذي ١٧٣.

وَاطْمَـئِنّ فِي صَـلاتِك؛ وَلا تَنْقُرهَـا نَقْـرًا، أيْ أنْ تُصلِّي بِقَلْبِـك قَبْـل أنْ يُصَـلِّي بـدنُك؛ حتّى تَخْشـع جوارِحُـك لِرَبِّكَ الَّذِي خلَقَك.

عُرْوَةُ بنُ الـزُّبَيْر عِنْـدما أُصِـيبتْ قدمُـهُ، أشـارَ عليْـهِ الأطِبَّـاءُ بقطْعِهـا، قـال لهُـم: عِنْـدَمَا أدْخُـلُ إلى الصَّـلاةِ فاقْطَعُوهَا؛ لأنَّهُ يَأْنَسُ باللهِ فيَسْتعِينُ بِهِ علـى بلـواه وَقْـت هَـذِهِ الشِّـدَّةِ، وَأَيَّـةُ شِـدَّةٍ هَـذِهِ! وَاللهِ لقـدْ اسْـتمعْتُ إلى مُحَاضَرةٍ عَامَّةٍ عَلَنِيَّةٍ أَلْقَاهَا مُفْتِي حَلب(1) وهُو يقُولُ: زفّتْ إلَيْنَا وكَالاتُ الأنْبَاءِ خبرًا -اعتبرُوهُ عجِيبًا- أنّ الصِّـينِيِّين

---

(1) مُفتِي حلب (سوريا) اسمُهُ/ أدب محمد حسون، ألقى محاضرة قيمة بقناة اقرأ الفضائية -يوم الأربعاء ٩من فبراير ٢٠٠٥ الموافق ٢٩من ذي الحجة ١٤٢٥هـ الساعة الحادية عشرة مساء

اليَوْمَ يَقُومُونَ بِالعَمَلِيَّاتِ الجِرَاحِيَّةِ بِلاَ تَخْدِيرٍ؛ حَيْثُ يَأْتُونَ بِإِخْصَائِيٍّ نَفْسِيٍّ، فَيَنْفَرِدُ بِالمرِيضِ؛ لِيَعْرِفَ مِنْهُ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ؛ ثُمَّ يَقُومُ بِالتَّحَدُّثِ مَعَ المرِيضِ أَثْنَاءَ إِجْرَاءِ العَمَلِيَّةِ عَمَّا يُحِبُّهُ فَقَطْ، فَيَنْشَغِلُ بِمَا يُحِبُّهُ فَلاَ يَشْعُرُ بِأَلَمٍ، إِنَّهُمْ يَأْنَسُونَ بِالبَشَرِ فَمَا بَالُكَ بِمَنْ يَأْنَسُ بِرَبِّ البَشَرِ؟! هَذَا هُوَ دِينُنَا، فَقَدْ سَبَقَهُم عُرْوَةُ إِلَى ذَلِكَ مُنْذُ مِئَاتِ السِّنِين، وَيَتَعَجَّبُ النَّاسُ اليَوْمَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَعَظِيمِ صَبْرِهِ..فَلِمَاذَا لا يَتَعَجَّبُ النَّاسُ عِنْدَمَا قَطَّعَتِ النِّسَاءُ أَيْدِيَهُنَّ عِنْدَمَا رَأَيْنَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله تَعَالَى وَهُوَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ؟! قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] هَؤُلاءِ النِّسْوَةُ انشَغَلْنَ بِجَمَالِ نَبِيٍّ كَرِيمٍ...فَلِمَاذَا لا يَنْشَغِلُ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ

وَجَوَارِحُهُ بِرَحْمَةِ الله عَلَيْهِ وَهُوَ الرَّحِيمُ العَظِيمُ، لقَدْ هبَّ إِلَى الصَّلاةِ، وَالصَّلاةُ ذِكْرٌ لله قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قدْ أَفْلَحَ من تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] وَجِسْمُ الإِنْسَانِ المؤْمِنُ يَسْكُنُ وَيَطْمَئِنُّ بِذِكْرِ الله، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَعَلَيْكَ أَنْ تَطْمَئِنَّ فِي صَلاتِك وَتَخْشع، فقدْ رأى حَبِيبُ قَلْبِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ رَجُلاً يُصَلِّي بِسُرْعَةٍ، فقال له[1]: «ارْجِعْ فصلِّ فإنَّك لمْ تُصلِّ» فَتَخَيَّلْ أَنَّ رَسُولَ الله يَرَاكَ فِي صَلاَتِكَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكَ[2]: "صلُّوا كما رَأيْتُمُونِي أُصلِّي"

---

(١) (صحيح): البخاري ٧٥٧، مسلم ٢٧٩، أبو داود ٨٥٦

(٢) (صحيح): إرواء الغليل ج١

لَوْ تَخَيَّلْتَ هَذَا الأَمْرَ لأَحْسَنْتَ وَاطْمَأْنَنْتَ فِي صَلاتِكَ حَتَّى لاَ يَقُولَ لَكَ كَمَا قَالَ لِلْمُسِيءِ صَلاتَهُ-وَهُوَ صَحَابِيٌّ-فَمَا بَالُكَ إِنْ كَانَ سَاهِيًا عَنْ صَلاتِهِ! فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لَهُ وَيْلاً فِي جَهَنَّمَ، قَالَ العُلَمَاءُ: الوَيْلُ وَادٍ عَظِيمٌ فِي جَهَنَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون:٤-٥] بَلْ رَبَطَ اللهُ بَيْنَ الرِّزْقِ وَبَيْنَ الصَّلاةِ؛ حَتَّى يَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ ،وَأَنَّ الرِّزْقَ آتٍ لاَ مَحَالَةَ، فَيَا أَيُّهَا التَّاجِرُ أَغْلِقْ مَحَلَّكَ وَقْتَ الصَّلاةِ، وَلاَ تَنْشَغِل بِالرِّزْقِ وَفَوَاتِهِ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:١٣٢] بَلْ إِنَّ اللهَ ذَمَّ قَوْمًا فِي القُرْآنِ؛ لأَنَّهُمْ أَضَاعُوا الصَّلاةَ فَقَالَ ﷻ: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا

الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] ثُمَّ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ أَمَامَ اليَائِسِينَ الضَّائِعِينَ غَيْرَ المُصَلِّينَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم:٦٠] سُبْحَانَ اللهِ.. مِنَ الغَيِّ وَهُوَ الوَادِي العَظِيمُ فِي جَهَنَّمَ إِلَى الجَنَّةِ، فَيَا لِعَظِيمِ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ

فَيَا مَنْ ضَيَّعْتَ الصَّلاةَ.. عَلَيْكَ بِالصَّلاةِ المَفْرُوضَةِ، ثُمَّ صَلاةِ النَّوَافِلِ، فَقَدْ سَمِعَ سَيِّدُ الرِّجَالِ ﷺ صَوْتَ نِعَالِ بِلالٍ رضي الله عنه فِي الجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ[1]: «حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ».

---

(١) (صحيح): البخاري ١١٤٩، مسلم ٢٤٥٨.

فَاسْجُدْ للهِ قَبْلَ أَلاَّ تَسْـجُدَ، قَـالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم٤٢-٤٣] فِي تَفْسِيرِ ابنِ كَثِيرٍ يَسْجُدُ للهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا أَي: المُصَلُّونَ فِي الدُّنْيَا هُمُ السَّاجِدُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَمَّا غَيْرُ المُصَلِّينَ فَيَأْتُونَ لِلسُّجُودِ، فَـلاَ يَسْـتَطِيعُونَ فَيُلْقَـوْنَ عَـلَى قَفَـاهُمْ، وَلاَ يَسْـتَطِيعُونَ السُّـجُودَ، كُلَّمَا قَـامُوا لِلسُّـجُودِ وَقَعُوا لِلخَلْفِ عَلَى ظُهُورِهِم، فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَـلِ؛ نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، وَلَنْ تُعْرَفَ أُمَّةُ النَّبِـيِّ الكَـرِيمِ- يَوْمَ القِيَامَةِ-إِلا بِنُورِهِم مِنْ أَثَرِ الوضُوءِ وَالسُّجُودِ؛ فَهُـمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، وَهُنَا سُؤَالٌ: تُرَى الَّذِي لاَ يُصَـلِّي بِـأَيِّ شَيْءٍ

سَيُعْرَفُ يَوْمَ القِيَامَةِ!! فَانصَحْ لأَخِيكَ دَائِمًا فِي الدُّنيَا قَبْل قُدُومِ الآخِرَةِ؛ حَتَّى يُبْعَثَ -إنْ شَاءَ اللهُ- مِنَ المصَلِّين، وَأَشْغِلْ نفْسَكَ -دَائِمًا- بِالذَّهَابِ إِلَى المسَاجِدِ وَتَعْمِيرِهَا فِي رَمَضَانَ وَبَعْدَ رَمَضَانَ، وَحَاوِلْ أَنْ تَخْتِمَ الصَّلاَةَ بِهُدُوءٍ وَتَمَهُّلٍ قَبْلَ مُغَادَرَتِكَ المسْجِدَ، فَمَا أَجْمَلَ الخِتَامَ! حِين تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ ثَلاثًا، أيْ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ هُوي وَنِسْيَانِي وَتَقْصِيرِي فِي الصَّلاَةِ، وَمَا أَجْمَلَ الاسْتِغْفَارَ بَعْد العَمَلِ الحَسَنِ!! فَالاسْتِغْفَارُ يُطِيِّبُهُ وَيَجْبُرُ تَقْصِيرَهُ وَيُحَسِّنُهُ فَيَتَقَبَّلُهُ اللهُ، وَكَذَلِكَ بَعْدَ العَمَلِ السَّيِّئ!! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١١٠) وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَلَمْ يَقُل أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ، فَلِمَاذَا؟! لِلعُمُومِ؛ فَإِذَا حُذِفَتِ الصِّفَةُ

تَعَدَّدَتِ الصِّفَاتُ؛ لِتَسْتَغْفِرَ اللهَ العَظِيمَ وَالكَرِيمَ وَالتَّوابَ وَالغَفُورَ وَالرَّحِيمَ وَقَابِلَ التَّوْبِ و..!! أَقُولُ مَثَلاً: جَاءَنِي رَجُلٌ، فَيَا تُرَى مَا صِفَةُ هَذَا الرَّجُلِ؟! فَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ رَجُلاً وَفِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، وَثَمَّةَ سَبَبٌ آخَرُ أَنَّ الأَسْمَاءَ الحُسْنَى كُلَّهَا مُحَقَّقَةٌ فِي اسْمِ الله (الله)، وَلَيْسَ اسْمُ الله (الله) مُحَقَّقًا فِيهَا، فَإِنَّنِي أَقُولُ أَنَّ اسْمَ الله (القُدُّوسِ) مِنْ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى، وَلَيْسَ اسْمُ الله (الله) مِنْ أَسْمَاءِ القُدُّوسِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! قُلْ: بَلَى، وَصَدَقَ رَبُّنَا إِذْ يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ (الإسراء:١١٠) لِذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ اسْمَ الله الأَعْظَمَ الَّذِي

إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ هُوَ اللهُ. فَحَافِظْ عَلَى الطَّاعَةِ وَلاَ يَكُنْ حَالُكَ كَحَالِ هَذَا المَاجِنِ القَائِلِ:

دَعِ المَسَاجِدَ لِلعُبَّادِ تَسْكُنُهَا وَطُفْ بِنَا حَوْلَ خَمَّارٍ لِيَسْقِينَا
مَا قَالَ رَبُّكَ. وَيْلٌ لِلذِينَ سَكِرُوا وَلَكِنْ قَالَ. وَيْلٌ لِلمُصَلِّينَا

دَخَلَ لِصٌّ عَلَى مَالِكِ بنِ دِينَارٍ[1]: أَحَدِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، فَمَا وَجَدَ مَا يَأْخُذُهُ، فَنَادَاهُ مَالِكٌ وَقَالَ لَهُ: لَمْ تَجِدْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنيَا؛ أَفَتَرْغَبُ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِ الآخِرَةِ؟! قَالَ. نَعَمْ قَالَ :تَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَفَعَلَ ثُمَّ جَلَسَ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى المَسْجِدِ!! فَسُئِلَ مَالِكٌ. مَنْ ذَا ؟ قَالَ: جَاءَ لِيَسْرِقَنَا فَسَرَقْنَاهُ؛ فَتَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَلَوْ رَأَيْتُ أَعْمَى يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ وَأَمَامَهُ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، فَهَلْ تَتْرُكُهُ يَسْقُطُ فِيهَا؟!

---

(١) راجع (٢٠٠ قصة من حياة الصالحين) سعد يوسف دار الفجر

الإجَابَةُ :لاَ، إِذًا..فَأَيْنَ مُرُوءَتُكَ؟ فَنَخْوَتُـكَ تَـأْبَى ذَلِـكَ، أَخُوكَ وَأَبُوكَ وَأُمُّكَ الَّذِينَ لاَ يُصَلُّونَ يَقَعُونَ مِـنَ المشْـهَدِ السَّابِقِ نَفْسَ الموْقِعِ فِي قَلْبِـكَ بَـلْ أَقْـوَى فَلِـمَاذَا تَحَرَّكْـتَ لِلأَعْمَى وَلَمْ تَتَحَرَّكْ لإِنْقَاذِهِم مِنْ نَارٍ أَشَدَّ؟! فَهَـلْ هَـانُوا عَلَيْكَ؟! فَانْتَبِهْ لِخُطُورَةِ الأَمْرِ....

خامسًا: أنتَ والصِّيامُ بعْدَ رمضانَ

الحَمْدُ لله عِنْدَمَا جَاءَ شَهْرُ رَمَضَانَ، اجْتَهَدَ كُلٌّ مِنَّا، فَصَامَ حَقَّ الصِّيامِ، وَقَامَ لله فِي شَهْرِ القُرْآنِ، وَمَسَّتِ التَّقْوَى القُلُوبَ بِإِذْنِ المَلِكِ العَلامِ، قَالَ اللهُ ﷻ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فَاعْلَمْ -حَبِيبِي فِي الله- أَنَّ أَعْظَمَ الأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ هُوَ الصِّيَامُ وَأَعْظَمَ الأَعْمَالِ بِاللَيْلِ هُوَ القِيَامُ، فَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصِّيَامَ وَالقِيَامَ، فَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الأَسْرَارِ؛فَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله أَسْرَارًا لاَ يَعْلَمُهَا إلا اللهُ الوَاحِدُ الغَفَّارُ، وَخَاطِبْ نَفْسَكَ وَقُلْ لَهَا: هَلْ انْقَطَعَ الصِّيَامُ بِانقِضَاءِ رَمَضَانَ؟!..فَرَبُّ رَمَضَان هُوَ ربُّ شَوَّال وَرَبُّ سَائِر شُهُورِ العَامِ، فَنَحْنُ لاَ نَعبُدُ رَمَضَانَ؛ إِنَّمَا نعبُدُ رَبَّ الأَنَامِ

مَا أقبحَ التفريطَ في زَمَنِ الصِّبَا ... فكيفَ والشيبُ للرأسِ شاغلُ

فارْحَلْ من الدُّنيا بزادٍ من التُّقَى ... فعُمرُكَ أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

كُنَّا فِي رَمَضَانَ المسَاجِدُ تُعمَّرُ، وَالآيَاتُ تُذكَرُ، وَالذُّنوبُ تُغفَرُ، وَالقُلُوبُ تُجْبَرُ، فَيَا تَرَى هَلْ سَيَعُودُ رَمَضَانُ وَنَحْنُ فِي الوُجُودِ أَمْ فِي اللحُودِ؟ وَيَا تَرَى هَلْ سَيُكْتَبُ لَنَا مَرَّة ثَانِيَةً فِي رَمَضَانَ الصِّيَامُ وَالسُّجُودُ وَالقِيَامُ؟ فَحَافِظْ عَلَى مَكَاسِبِ رَمَضَانَ، وَلاَ تكُنْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل:٩٢] فَبَعْدَ رَمَضَانَ يَأْتِي صِيَامُ النَّوَافِلِ وَهُوَ الصِّيَامُ الأَطْوَلُ؛ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالأَفْضَلِ ،فَعَلَيكَ بِصِيَامِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّال، قَالَ المعْصُومُ ﷺ[1]: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ. ثُمَّ فِي الحَدِيثِ؛

---

(١) (صحيح): مسلم ١١٦٤، أبو داود ٢٤٣٣، ابن ماجة ١٧١٦.

لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ وَالتَّرَاخِي، وَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ: مِنْ أَوَّلِ أَوْ آخِرِ شَوَّال، وَإِنَّمَا مِنْ شَوَّال، فَالأَمْرُ أَمَامَكَ فِيهِ سَعَةٌ، فَإِمَّا أَنْ تَصُومَ هَذِهِ الأَيَّامَ مُتَّصِلاتٍ أَوْ مُنْفَصِلاتٍ، فَكِلا الأَمْرَين صَحِيحٌ - إِنْ شَاءَ اللهُ - وَالأَفْضَلُ أَنْ تَصُومَهَا مُتَّصِلاتٍ، فالْمُسَارَعَةُ إِلَى الطَّاعَةِ مَحْمُودةٌ، قَالَ اللهُ تَعالَى فِي شَأْنِ أَنْبِيَائِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وبالنِّسبة للنِّسَاء - كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلمِ - فَعَلَيهِنَّ أَنْ يَبْدَأنَ بِصِيَامِ مَا عَلَيْهِنَّ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ يُتْبِعنَ ذلِكَ بصيَامِ السِّتة أَيَّامٍ مِنْ شَوَّال، فَصِيامُ الفَرِيضَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى صِيَامِ السُّنةِ. وَلا تَكْسَلْ بَعْدَ ذَلكَ؛ فَاخْرُجْ مِنْ صيَامِ السِّتةِ أَيَّام مِنْ شَوَّال إِلَى صِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثُمَّ إِلَى صِيَامِ الإثنَيْنِ وَالخَمِيسِ،

وَلا تَنْسَ صِيَامَ يَوْمِ عَاشُورَاء وَالعَشْر الأوائل مِنْ ذِي الحِجَّة وَيَوْم عَرَفَةَ آخِر العَشْر، فَالصَّوْمُ لَمْ يَنْتَهِ بِانْقِضَاءِ رَمَضَانَ، وَاعْلَمْ أنَّ جِهَادَ للنَّفْسِ مِنْ أعْظَمِ الجِهَادِ، والمدَاوَمَةُ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ أعظمِ القُرُبَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩) فَمَا أجْمَلَ الطَّاعَةَ تَتْبَعُهَا الطَّاعَةُ! وَمَا أقْبَحَ المعْصِيَةَ تَتْبَعُهَا المعْصِيَةَ! قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: الطَّاعَةُ تَجُرُّ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالمعْصِيَةُ تَجُرُّ إِلَى المعْصِيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[1]: "يا ابْنَ آدم تفرَّغْ لِعِبادَتِي أمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأسُدَّ فَقْرَكَ، وَإلا تَفْعَلْ ملأْتُ يدَيْك شُغْلاً ولمْ أسُدَّ فقْرَك". وَمَا أعْظَمَ الحَسَنَةَ تَتْبَعُهَا

---

(١) (صحيح): الترمذي ٢٤٦٦، ابن ماجة ٤١٠٧، صحيح الجامع ١٩١٤

الحَسَنَةُ! لأنَّكَ سَتَجِدُ كُلَّ مَا عَمِلْتَهُ مِنْ خَيرٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]

أمَّا أعْمَالنَا السَّيئَةُ فَنَوَدُّ أنْ تَكُونَ بَعِيدةً عَنَّا: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] وَيُنَادِي عَلَيْكَ رَبُّكَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ[١]: «يَا عِبَادِي إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه».

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٧٧، الترمذي ٢٤٩٥، ابن ماجة ٤٢٥٧.

سادساً: أُخْتَاهُ...أَنْتِ والحِجَابُ بَعْدَ رَمَضَانَ

الكَثِيرَاتُ مِنَ النِّسَاءِ فِي رَمَضَانَ تَرَاهُنَّ وَهُنَّ مُحَجَّبَاتٌ - وَالحَمْدُ لله - وَلَكِنْ لِلأَسَفِ الشَّدِيدِ مَا إِنْ يَنْتَهِ رَمَضَانُ؛ حَتَّى تَرَاهُنَّ وَقَدْ خَلَعْنَ الحِجَابَ..شَيْءٌ عَجِيبٌ حَقًّا..فَيَا مَنْ تَحَجَّبْتِ فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ خَلَعْتِ الحِجَابَ لَيْلَةَ العِيدِ، هَلْ رَآكِ اللهُ فِي رَمَضَانَ، ولَمْ يَرَكِ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ؟! تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا...أَلاَ يَعِزُّ عَلَيْكِ أَنْ تُفَارِقِي صَالِحَ عَمَلِكِ، وَأَنْ تَبْتَعِدِي عَنْ طَاعَةِ رَبِّكِ؟..أُخْتَاهُ..إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تُفَارِقِينَ وَتَبْتَعِدِينَ، أَقُولُ لَكِ مَا قَالَهُ شُعَيْبُ عليه السلام لِقومِهِ عِنْدَمَا قَالُوا لَهُ ﴿ولَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ومَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود:٩١) فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَدَبٍ نَبَوِيٍّ كَرِيمٍ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكُمْ ظِهْرِياً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ ﴾ (هود: ٩٢) فَمَنْ أَعَزُّ عَلَيْكِ مِنَ اللهِ؟! وَمَنْ أَعَزُّ عَلَيْكِ مِنْ رَسُولِ اللهِ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)؟! أَتَرْكُ الحِجَابِ أَعَزُّ عَلَيْكِ مِنَ اللهِ؟ أَتَتْرُكِينَ تَعَالِيمَ للرَّحمنِ إِلَى طَاعَةِ الشَّيطَانِ؟ أَتُفَضِّلِينَ الفُجُورَ عَلَى شَرْعِ اللهِ؟! أَتُرِيدِينَ أَنْ تَفْعَلِي مِثْلَ هَذَا الشَّاعِرِ المَاجِنِ القَائِلِ فِي الخَمْرِ بَعْدَ رَمَضَانَ؟

رَمَضَانُ وَلَّى هَاتِهَا يَا سَاقِي ... مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِ

أَتَكْذِبِينَ عَلَى نَفْسِكِ أَمْ تَكْذِبِينَ عَلَى اللهِ؟.. فَعَاقِبَةُ الكَاذِبِينَ وَخِيمَةٌ، قَالَ اللهُ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٠) أُخْتَاهُ... أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النِّيرَانِ، فَالحِجَابُ طَاعَةٌ لِلرَّحْمَنِ، وَسِتْرٌ لِلأَبْدَانِ، وَنَجَاةٌ مِنَ النِّيرَانِ، وَسَيْرٌ عَلَى

دَرْبِ أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ العَدْنَانِ ﷺ، وَلاَ تَقُولِي. سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، لاَ..اجْعَلِي سَاعَةَ رَبِّكِ لِرَبِّكِ، وَاجْعَلِي سَاعَةَ قَلْبِكِ -أَيْضًا- لِرَبِّكِ، فَهَلْ هُنَاكَ فِي الآخِرَةِ سَاعَةٌ فِي الجَنَّةِ وَسَاعَةٌ فِي النَّارِ؟! إِذًا..لاَ تَجْعَلِي فِي الدُّنْيَا سَاعَةً لِلمَعْصِيَةِ وَسَاعَةً لِلطَّاعَةِ ،فَالدُّنْيَا سَاعَةٌ؛ فَاجْعَلِيهَا لله طَاعَةً...نَعَمْ وَالله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (طه:١٣١) لَقَدْ شَبَّهَ اللهُ الدُّنْيَا بِأَنَّهَا زَهْرَةٌ، وَالزَّهْرَةُ عُمْرُهَا قَصِيرٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لِلسَّاقِ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ إِذَا قَطَعْتَ الزَّهْرَةَ مِنْ مَكَانِهَا، فَكَمْ تَعِيشُ نَضِرَةً؟! رُبَمَا تَعِيشُ سَاعَةً نَاضِرَةً وَجَمِيلَةً، أَمَّا السَّاقُ فَتَصْبِرُ أَكْثَرَ...كُلُّهَا سَاعَةٌ وَيَحُطُّ المؤْمِنُ رَحْلَهُ فِي الجَنَّةِ،

فَمَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، فَمَا أَقْصَرَ هَذِهِ الـدُّنيَا! وَمَـا أَقَـلَّ نَعِيمَهَا! فَاجْعَلِي حَيَاتَكِ كُلَّهَا لله؛ قَالَ اللهُ ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام١٦٢] تَفُـوزِي بِجَنَّـةٍ عَرْضُهَا الأَرْضُ وَالسَّـمَوَاتُ مَـعَ الشَّرِيفَـاتِ العَفِيفَـاتِ الطَّاهِرَاتِ، وَاعلَمِي أَنَّهُ مَهْـمَا عَظُمَـتْ ذُنُوبُـكِ فَعَفْـوُ الله أعْظَمُ؛ فَأَقْبِلِي عَلَى رَبِّكِ وَأَبْشِرِي..

سابعًا: أنت والأعمال الصالحات والتزام الطاعات

اعْلَمْ -بِدَايَةً- أَنَّهُ مَا شُرِّعَتِ العِبَادَاتُ إِلاَّ لِذِكْرِ اللهِ؛ وَتَحْقِيقِ مَصْلَحَةِ الإِنْسَانِ وَتَزْكِيَتِهِ وَتَطْهِيرِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنْكَرِ وَإِدْخَالِ تَقْوَى اللهِ فِي قَلْبِهِ..

قَالَ الله فِي الصَّلاَةِ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت٤٥]

وَقَالَ اللهُ فِي الصِّيَامِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة١٨٣]

وَقَالَ اللهُ فِي الزَّكَاةِ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة١٠٣]

وَقَالَ اللهُ فِي الحَجِّ: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى

كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج٢٦-٢٧] لِذَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَ الدِّينَ فِي أَهْلِكَ وَأَيِّ مَكَانٍ تَحُلُّ بِهِ؛ لِقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى١٣]

فَفِرَّ إِلَى الله؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الفِرَارَ نَوْعَانِ: فِرَارٌ مِنْ، وَفِرَارٌ إِلَى؛ أَقُولُ مَثَلاً: أَخَافُ مِنَ الأَسَدِ فَأَفِرُّ مِنْهُ، وَأَخَافُ مِنَ الله فَأَفِرُّ إِلَيْهِ، فَمَنْ خَافَ شَيْئًا فَرَّ مِنْهُ، وَمَنْ خَافَ اللهَ فَرَّ إِلَيْهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات٥٠] وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ عَنِ المُتَرَاحِمِينَ، وَالَّذِينَ امْتَلأَتْ قُلُوبُهُم إِيمَانًا بِالله ﷻ وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَقَامُوا الدِّينَ فِي الأَرْضِ،

فَرَقَّتْ عَوَاطِفُهُم فَكَانُوا أَهْلاً لِرَحْمَةِ رَبِّهِم، فَقَالَ فِيهِم ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١]

وَقَالَ ﷻ أَيْضًا فِي شَأْنِهِم: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦] لِذَا.. فَالعِبَادَاتُ وَطَاعَةُ الله وَرَسُولِهِ ﷺ بَابَانِ عَظِيمَانِ مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ بَلْ هُمَا أَعْظَمُهَا أَنْ تَكُونَ طَائِعًا للهِ ﷻ وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢]...

بيَدِهِمْ نُورَانِ: ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ فَمَا بَالُهم فِي حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

وَالْتَزِمْ العِبَادَاتِ؛ فَالمحَافَظَةُ عَلَيْهَا مَغْنَمٌ عَظِيمٌ

لِصَاحِبِهَا، أَمَّا أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ العِبَادَاتِ وَتَتَحَجَّجَ بِأَنَّ قَلْبَكَ -وَالحَمْدُ للهِ- أَبْيَضُ، فَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ حَقًّا!! لاَ يَتَشَبَّثُ بِهِ إِلا الجُهَلاءُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَسْقُطْ العِبَادَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَنْقَى قَلْبًا وَأَعْظَمُ مقَامًا؟! فَاجْعَلْ هَوَى نَفْسِكَ دَائِمًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ، لِذَا قَالَ عُمَرُ الفَارُوقُ: خَيْرُ العَمَلِ مَا كَانَ أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ، أَيْ: خَالِصًا صَوَابًا؛ خَالِصًا: مَا كَانَ فِيهِ إِخْلاصٌ للهِ رَبِّ البَرِيَّةِ، وَصَوَابًا: مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى هَدْيِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ. ﷺ وَلاَ تَجْعَلْ نَفْسَكَ تَسِيرُ عَلَى هَوَاهَا؛ حَتَّى لاَ تَضِلَّ وَتُضَلَّ، فَنَفْسُكَ كَالنَّاقَةِ إِنْ رَكِبْتَهَا قُدْتَهَا إِلَى الخَيْرِ وَأَوْصَلَتْكَ، وَإِنْ رَكِبَتْكَ قَتَلَتْكَ، فَأَنْتَ تُرِيدُ الجَنَّةَ وَالرَّحْمَةَ فَاطْمَئِنَّ.. فَطَاعَةُ

رَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤَهِّلَةٌ لِلجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ ومَنْ يَأْبَى؟! قَالَ ﷺ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». بَلْ لَنْ تَدْخُلَ الرَّحْمَةَ (الْجَنَّةَ) إلا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ ﷻ حَتَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدَلِيلِ الحَدِيثِ[2]: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: لا وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ ورَحْمَةٍ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ» بَلْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) (صحيح): البخارى ٧٢٨٠، مسلم ١٨٣٥، النسائى ٤١٩٣.

(٢) (صحيح): البخارى ٥٦٧٣، مسلم ٢٨١٦، النسائى ٥٠٣٤.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ(١): «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ»، أَيْ: مَعَ شُمُولِنَا بِرَحْمَتِكَ وَلَيْسَتِ الطَّاعَةُ وَحْدَهَا مُبَلِّغَةً الْجَنَّةَ.. فَهَلَّا أَطَعْتَ رَبَّكَ وَالْتَزَمْتَ بِمَا كَلَّفَكَ بِهِ حَتَّى تَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَرْحُومِينَ؟! لِيُؤْتِيَكَ اللَّهُ نَصِيبَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَ لَكَ نُورًا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) (حسن): الترمذي ٣٥٠٢، صحيح الجامع ١٢٦٨.

رَحِيمٌ﴾ [الحديد٢٨] بَلْ وَيَجْعَلَ لَكَ وُدَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَيَّةُ بِشَارَةٍ هَذِهِ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا ﷻ! أَنْ يُحِبَّكَ وَيُقَرِّبَكَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم٩٦] فَاسْأَلِ اللهَ الجَنَّةَ، قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: اللهُمَّ كَمَا هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْلامِ دُونَ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَاهْدِنِي إِلَى الجَنَّةِ وَأَنَا أَسْأَلُكَ.

أَحْزَانُ قَلْبِي لاَ تَزُولُ ... حَتَّى أُبَشَّرَ بِالقَبُولِ
وَأَرَى كِتَابِي بِاليَمِينِ ... وَتَقَرَّ عَيْنِي بِالرَّسُولِ

ثامناً: أنتَ والصَّدَقَاتُ بَعْدَ رَمَضَانَ(١)

يَقُولُ رَبُّنَا ﷻ فِي شَأْنِ شَخصٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِ المَوْتُ، وَأَشْرَفَ عَلَى الهَلاكِ، رُبَمَا يَكُونُ أَنَا، وَرُبَمَا تَكُونُ أَنْتَ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَوْتِ إلا الشَّيْءُ اليَسِيرُ، يَقُولُ اللهُ رَبُّ العَالَمِين -وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ- فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ: ﴿وأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠] فَقَدْ قَرَنَ اللهُ ﷻ بَيْنَ المَوْتِ وَالتَّصَدُّقِ فِي لَحَظَاتٍ حَرِجَةٍ؛ رُبَمَا لا تَمُرُّ بِالإِنْسَانِ فِي

---

(١) راجع كتابنا (الإنفاق سبيل الله) إن أردت الزيادة هذا المبحث.

حَيَاتِـهِ كُلِّهَـا إلاَّ مَـرَّةً وَاحِـدَةً، إِنَّهَـا لَحظَـاتٌ فَاصِـلَةٌ حَاسِـمَةٌ؛ نَعَـمْ..فَاصِـلَةٌ؛ لأَنَّهَـا تَفصِـلُ بَـيْنَ حَيَـاتَيْنِ: الحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَحَيَـاةِ القَـبْرِ، وَحَاسِـمَةٌ؛ لأَنَّهَـا سَـتُنْهِي حَيَاتَـهُ بَعْـدَ قَلِيـلٍ، إِنَّـهُ سَـيَخْرُجُ مِـنَ الـدُّنْيَا وَمَتَاعِهَـا القَلِيـلِ كَـمَا أَخْـبَرَ رَبُّنَـا الجَلِيـلُ ﷻ عَنْـهُ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء:٧٧].

أَمُـرُّ عَـلَى المَقَـابِرِ كُـلَّ حِـينٍ وَلاَ أَدْرِي بِـأَيِّ أَرْضٍ قَـبْرِي
وَأَفْـرَحُ بِـالغِنَى إِنْ زَادَ مَـالِي وَلاَ أَبْكِـي عَـلَى نُقْصَـانِ عُمْـرِي

إِنَّهُ الآنَ مُقْبِـلٌ عَـلَى أَوَّلِ مَنَـازِلِ الآخِـرَةِ؛ عَـلَى القَـبْرِ وَظُلْمَـةِ القَـبْرِ وَعَـذَابِ أَوْ نَعِـيمِ القَـبْرِ، فَـإِنَّ لِلمَـوْتِ سَـكَرَاتٍ، وَإِنَّ لِلقَـبْرِ ظُلُـمَاتٍ، وَإِنَّ لِلنَّـارِ مِـنْ بَعْـدِهِمَا لَزَفَرَاتٍ، وَأَنْتَ بَـيْنَ هَـذَا وَذَاكَ تَحْمِـلُ بَـيْنَ جَنْبَيْـكَ إِمَّـا

الحَسَنَاتِ وَإِمَّا السَّيِّئَاتِ؛ فَأَكْثِرْ مِنَ الحَسَنَاتِ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود:١١٤-١١٥] إِنَّهُ الآنَ يَتَمَنَّى أَنْ يُنْفِقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَرُبَمَا يَكُونُ المَوْتُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُهُ، أَمَّا نَحْنُ أَحْيَاءٌ نُرْزَقُ، فَهَلْ نَتَصَدَّقُ؟! قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنَا المَوْتُ فَيَقُولُ أَحَدُنَا:
﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون٩٩-١٠٠]

وَاعْلَمْ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ ﷻ سَيَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُم، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٦] بَـلْ مِـنْ رَحْمَـةِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ بِالأُمَّـةِ أَنَّـهُ أَرْشَـدَ أَفْـرَادِ أُمَّتَـهُ مِـنَ المُـوسِرِينَ أَنْ يَتَجَـاوَزُوا عَـنْ إِخْـوَانِهِم المُعْسِرِيـنَ، فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ[1]: «كَـانَ تَـاجِرٌ يُـدَايِنُ النَّـاسَ، فَـإِذَا رَأَى مُعْسِـرًا قَـالَ لِفِتْيَانِـهِ: تَجَـاوَزُوا عَنْـهُ؛ لَعَـلَّ اللَّـهَ أَنْ يَتَجَـاوَزَ عَنَّـا، فَتَجَـاوَزَ اللَّـهُ عَنْـهُ»، وَفِي حَـدِيثٍ قُـدْسِيٍّ مِـنَ الرَّبِّ العَـلِيِّ ﷻ، اللهُ يُنَـادِي عَلَيْـكَ وَيَـأْمُرُكَ، يَقُـولُ الحَبِيـبُ النَّبِـيُّ ﷺ[2]: «قَـالَ اللهُ: أَنْفِـقْ - يَـا ابْـنَ آدَمَ - أُنْفِـقْ عَلَيْـكَ» قَـالَ اللهُ: (أَنْفِـقْ) بِصِـيغَةِ الإِنْشَـاءِ (فِعْـلِ الأَمْـرِ)، وَلَمْ يَقُـلْ بِصِـيغَةِ الخَـبَرِ مَـثَلاً:

---

(١) (صحيح): البخارى ٢٠٧٨، مسلم ١٥٦٢، النسائى ٤٦٩٤.

(٢) (صحيح): البخارى ٥٣٥٢، مسلم ٩٩٣، الترمذى ٣٠٤٥.

(الإنْفَاقُ صِفَةٌ حَمِيدَةٌ) فَلِمَاذَا؟! لِيُبَيِّنَ أَهَمِّيَّةَ الإِنْفَاقِ وَحَاجَةَ المُجْتَمَعِ المسْلِمِ الشَّدِيدَةِ لِلإِنْفَاقِ، وَإِرْشَادِ المسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَتَأْكِيدِ خَسَارَةِ مَنْ لاَ يُنْفِقُ، فَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِكَ، وَغَيْرُكَ يَحْتَاجُ إِلَيْكَ، كَانَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: نِعْمَ السَّائِلُونَ يَحْمِلُونَ أَزْوَادَنَا إِلَى الآخِرَةِ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ؛ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي المِيزَانِ، فَاللهُ يَأْمُرُكَ وَيَطْلُبُ مِنْكَ الإِنْفَاقَ، فَلِمَاذَا لاَ تَسْمَعُ لَهُ وَتُطِيعُهُ؟! إِذًا.. قُلْ: لَبَّيْكَ رَبِّي سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، فَالأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَنْفِيذٍ؛ لِذَا قَالَ اللهُ: (أَنْفِقْ) بِالفِعْلِ وَالفَاعِلِ فَقَطْ، وَنُلاَحِظُ فِي الجُمْلَةِ حَذْفَ المَفْعُولِ بِهِ؛ لِلعُمُومِ... فَأَتَى الأَمْرُ الإِلَهِيُّ عَامًّا؛ لِيَشْمَلَ كُلَّ أَنْوَاعِ الإِنْفَاقِ؛ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ، أَنْفِقْ مِنَ

المَـالِ وَالطَّعَـامِ والكِسَـاءِ وَالـزُّرُوعِ وَالـثِّمَارِ. قَبْـلَ أَنْ يَأْتِيَكَ المَوْتُ...

مَنْ كَـانَ قَرِيبًـا مِـنْ رَبِّـهِ	وَالرَّحْمَـةُ تَسْـكُنُ فِي قَلْبِـهِ
وَآتَـى المَـالَ عَـلَى حُبِّـهِ	فَـاللهُ يُبَـارِكُ فِي كَسْـبِهِ
مَنْ كَانَ صَدِيقَ المِسْكِينِ	وَأَعَـانَ الإِخْـوَةَ فِي الـدِّينِ
فَـاللهُ لَـهُ خَـيْرُ مُعِـينِ	يَجْزِيـهِ وَيَصْـفَحُ عَـنْ ذَنْبِـهِ
الـبِرُّ دَلِيـلُ العِرْفَـانِ	وَزَكَاتُـكَ شَرْطُ الإِيـمَانِ
وَاللهُ وَلِيُّ الإِحْسَـانِ	وَالمُحْسِـنُ يَطْمَـعُ فِي قُرْبِـهِ

وخُلاصَةُ القَوْلِ:

وَخُلاصَةُ قَوْلِي -نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاكَ- اعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ حَصَلْتَ -بِفَضْلِ اللهِ- عَلَى مَكَاسِبَ عديدةٍ وَحَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي رَمَضَانَ، فَاحْرِصْ عَلَى فَضَائِلِ الأَعْمَالِ دَائمًا فَإِنَّهَا طَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ _فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي_ يَجْلِسُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ[1]: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صائمًا؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَنَا، قالَ فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جنَازَة؟ قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قال أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قالَ: فَمَنْ عادَ مِنْكُمُ الْيَوْم مَرِيضًا؟ قال أَبُو بكْرٍ ﷺ: أَنَا ،فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: ما اجْتَمَعْن فِي امْرِئ إلا دخل الْجنَّة» وَإِنِّي سَائِلُكَ سُؤالا فَأَجِبْنِي هَلْ كَان

(١) (صحيح): انفرد به مسلم ١٠٢٨

الصِّدِّيقُ ﷺ عَلَى عِلْمٍ مُسْبَقٍ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيُفَاجِئُ الصَّحَابَةَ بِهَذِهِ الأَسْئِلَةِ؟! الإِجَابَةُ: لا.. لَقَدْ فَعَلَ الصِّدِيقُ هَذِهِ الفَضَائِلَ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى.. وَإِنِّي أَهِيبُ بِكَ وَبِنَفْسِي ألا نُفَرِّطَ فِي هَذِهِ الفَضَائِلِ بِسُهُولَةٍ فَأَكْثِرْ مِنْهَا، وَأَعِدَّ لِكُلِّ سُؤَالٍ جَوَابًا؛ قَبْلَ أَنْ تُسْأَلَ يَوْمَ القِيَامَةِ..

وَانْتَبِهْ ـ أَخِي الحَبِيبَ ـ فَمَنْ دَخَل رَمَضَانَ وَخَرجَ مِنْهُ كَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ، فَقَدْ بَاءَ بِالخُسْرَانِ، وَلاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنيَا، فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ اغتَرُّوا بِهَا؛ فَأَذَلَّهُمْ اللهُ، وَأَكْثَرُوا فِيهَا الآمَالَ، فَخَابَ أَمَلُهُم وَضَلَّ سَعيُهُم، فَمَنْ غَفلَ عَنْ نَفْسِهِ ضَاعَتْ أوقَاتُهُ، وَاشْتَدَّتْ حَسَرَاتُهُ وَعَظُمَتْ سَيِّئَاتُهُ، وَقَلَّتْ حَسَنَاتُهُ، وَخَسِرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﷻ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ

اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾ [الحج١١].

رَكَنُـوا إِلَى الـدُّنيَا الدَّنِيَّـة	وَتَبَـوَّؤا الرُّتَـبَ العَلِيَّـة
حَتَّـى إِذَا غُـرُّوا بِهَـا	صَرَعَـتْهُمْ أَيْـدِي المنِيَّـة

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ أَنْ مَعِيَّةَ الله نَوْعَانِ: مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ؛ وَهِيَ مَعِيَّةُ العِلْمِ وَالإِحَاطَةِ وَالمرَاقَبَةِ؛ فَاللهُ مَعَكَ بِسَمْعِهِ وَعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد٤] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء١٢٦] وَمَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ وَهِيَ مَعِيَّةُ التَّأْيِيدِ وَالنُّصْرَةِ وَالمدَدِ وَالعَوْنِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّوْفِيقِ وَالحِفْظِ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالمتَّقِينَ وَالمؤْمِنِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالمحسِنِينَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِم، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِم ﴿ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل١٢٨] فَادْعُ اللهَ -مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِكَ- أَنْ يَجْعَلَكَ أَحَدَهُم، فَيَا تُرَى مَنْ مِنَّا سَيُحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَا كَانَ يُحَافظُ عَلَيْهَا فِي رمَضَانَ؟..مَنْ منَّا سيُحْسنُ إِلَى الأَيْتَامِ وَإِلَى ضِعَافِ الأَنَامِ كَمَا كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِم فِي رَمَضَانَ؟ مَن منَّا سَيَخْتِمُ القُرآنَ كَمَا خَتَمَهُ فِي رَمَضَانَ ؟ مَنْ مِنَّا سَيُعَوِّدُ نَفْسَهُ الصِّيامَ بَعْدَ رَمَضَانَ وَيَصُومُ صَوْمَ النَّوافِلَ؟.. فَيَا أَيُّهَا الحَبِيبُ لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المعْرُوفِ شَيئًا وَلاَ تَستَسهِلَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ شَيْئًا؛ حتَّى يُخْتَمَ لَكَ بِخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ إنْ شَاءَ اللهُ، وَيَكُونُ مَثْوَاكَ الأَخِيرُ الجَنَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ(١): قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ

(١) (صحيح): البخاري ٣٢٤٤ ،مسلم٢٨٧١ ،الترمذي ٣١٩٧.

الصَّالِحِينَ مَا لاَ عينٌ رأتْ، وَلاَ أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خطر على قَلْبِ بشرٍ، فاقرءُوا ما شئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] فَـلاَ تَهْـدِمْ مَـا بَنَيْتَـهُ فِي رَمَضَـانَ، وَإِيَّـاكَ والتَّفريطَ فِيهَا فَعَلْتَـهُ ابْتِغَـاءَ وَجْـهِ الله ﷻ،فالنَّـاسُ بَعْـدَ رَمَضَـانَ فَرِيقَـانِ. فَـائِزٌ وَخَـاسِرٌ، فَأَمَّـا الفَـائِزُونَ فَهُـمْ كَالشَّـمْسِ يَـومَ القِيَامَـةِ، وأمَّـا الخَـاسِرُونَ فَقَـدْ أَصَـابَهُمُ الحِرْمَانُ، فَيَا ترَى أَيَعُودُ رَمَضَانُ وَهُم أحيَاءٌ بَيْنَ الأَنَامِ..؟ فَيَا لَيْتَ شِـعْرِي نَحْـنُ مِمَّـن؟! هَـذَا لَـيْسَ فِي عِلْمِـي وَلاَ عِلمِـكَ بَـلْ فِي عِلْـمِ الوَاحِـدِ للـدَّيَّانِ؛ فَـادْعُ اللهَ -تَبَـارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يُعِينَكَ عَلَى الطَّاعَةِ حَتَّـى تَجْعَـلَ أَيَّامَـكَ كُلَّهَـا رَمَضَانَ...

خَاتِمَةُ الكِتَابِ

هَذَا مَا وفّقني اللهُ إِلَيْهِ مِنْ تَأْلِيفِ وَإِعْدَادِ هَذَا العَمَلِ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ وُفِّقْتُ فَللّهِ الحَمْدُ وَالمِنّةُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فأدْعُو اللهَ ﷻ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَهُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المغفِرَةِ، وَحَسْبِي مِنْهُ أَنّني أُرِيدُ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً..وَاللهَ أسأَلُ أَنْ يَكْتُبَ لِي بِهِ أَجْرًا، وَيَحُطّ عَنّي بِهِ وِزْرًا، وَيَجْعَلَهُ زَادًا لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم ٦٣]

يُرِيدُ المرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ مَا أَرَادَا
يَقُولُ المرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي وَتَقْوَى الله أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ
هَانِي بن سَعْد غُنَيْم

وَاللهُ مِن وَرَاءِ القَصْدِ، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

المَرَاجِعُ

١. القُرْآنُ الكَرِيمُ.
٢. تَفْسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ.
٣. صَحِيحَا البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.
٤. كُتُبُ السُّنَنِ.
٥. صَحِيحُ الجَامِعِ الأَلْبَانِيِّ.
٦. أُسْدُ الغَابَةِ.
٧. سِيرَةُ ابنِ هِشَامٍ.
٨. سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ.
٩. وَمَرَاجِعُ أُخْرَى.

فهرس

الإهداء ٣
مُقَدِّمَةُ الأُسْتَاذ الدُّكْتُور : فتحي جُمُعَة ٥
مقدمة ٧
من علامات قَبول رمضان ١٣
(مباحثُ هذا الكتاب) ١٦
أوَّلاً : أنتَ وذِكْرُ الله ١٧
تَعْريفُ الذِّكْر : ١٩
فوَائِدُ الذِّكْر : ١٩
أَهَمِيَّةُ الذِّكْر : ٢٣
ذِكْرُ اللَّهِ هُوَ الغِنَى الحقِيقِيُّ ٣٠
لِماذا الذِّكْرُ؟ ولماذا أمرَنَا الله بِهِ؟! ٣٣
الذِّكْرُ أعْظَمُ الأعْمَال وَأنْفعُهَا : ٣٧

الذِّكْرُ بَعْدَ كلِّ عِبادةٍ: ٣٩

ثَمَرةُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، فهلْ مِنْ حَاصِدٍ فطِن ؟! ٤٥

ثانيًا : أَنْتَ وَالقُرْآن........ ٥٠

ثالثًا : أَنْتَ وَتَقْوَى اللَّه ٦٦

رابعًا : أَنْتَ والصَّلاة........ ٧٣

خَامسًا : أَنْتَ وَالصِّيامُ بَعْدَ رمضان ٨٧

سَادسًا : أُخْتَاهُ... أَنْتِ وَالحجابُ بَعْدَ رَمَضَان ٩٢

سَابعًا : أَنْتَ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ وَالْتِزَامُ الطَّاعات..... ٩٦

ثَامنًا : أَنْتَ وَالصَّدَقَاتُ بَعْدَ رَمَضَانَ........ ١٠٣

وخُلاصَةُ القَوْلِ: ١٠٩

خَاتمَةُ الكِتَاب ١١٤

المَرَاجِعُ ١١٥

فهرس ١١٦

سَيَصْدُرُ قَرِيبًا - إِنْ شَاءَ اللهُ - كِتَابُ:

(دَلالَاتٌ لُغَوِيَّةٌ وَأَسْرَارٌ لَفْظِيَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ)

كتابٌ يتحدثُ عن الإعجازِ اللغويِّ في القرآن، ويكشفُ سرًّا من أسرارِ لغةِ القرآنِ بالأدلة.

وَتَقْرَأُ فِيهِ المَبَاحِثَ الآتِيَةَ:

أفلاَ يَتدَبَّرُون القُرْآنَ؟!

أَسْمَاءُ القُرْآن.

مُداوَمَةُ تِلاوَةِ القُرْآنِ مِنْ عَلامَاتِ الإِيمَانِ.

الْتِزَامُ الأُسْلُوبِ الرَّاقِي فِي القُرْآن.

كَلِمَاتٌ لَزِمَتْ حَالَةً وَاحِدَةً فِي القُرْآن.

ما تَظُنُّ أَنَّهُ مُترادِفُ المَعْنَى، وَلَيْسَ مِنَ المُتَرَادِفِ.

مواضِعُ الآيَاتِ المُتَشَابِهَاتِ فِي القُرْآنِ وَسَبَبُ ذَلِكَ..

هَكذا قَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ..فَلِمَاذَا؟!

فِي رِحَابِ القُرْآن (مَعْلُومَات مُهِمَّة).

قُطُوفٌ نَحْوِيَّةٌ مُهِمَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ

وَمَبَاحِث أُخْرَى مُفِيدَة إِنْ شَاءَ اللهُ.

كُتُبٌ أُخرَى صَدَرَتْ -بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ- لِلمُؤلِّفِ:

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيِّ:

١)أشهَرُ الأخطَاءِ اللغَوِيَّةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الدُّعَاةُ وَمُحِبُّو اللغَةِ العَرَبِيَّةِ.

٢) فُنُونٌ وَلَطَائِفُ لُغَوِيَّةٌ مِنْ رِيَاضِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ.

فِي المَجَالِ الإِسْلَامِيِّ:

١) رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل.

٢) مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟! .

٣) تَذْكِرَةُ المُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ.

٤) الابْتِلاءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

٥) التَّقْوَى جُنَّةٌ...وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ.

٦) الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٧) الرَّحْمَةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

٨) الاسْتِغْفَارُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الغَفَّارِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ.

٩) أُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنِي اللهُ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!